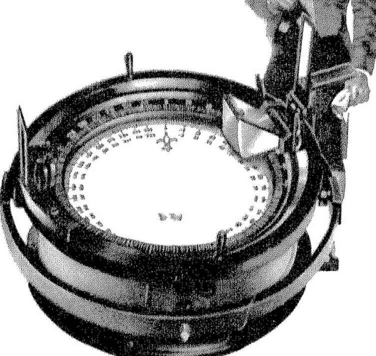


الهيئة المصرية
العامة للكتاب

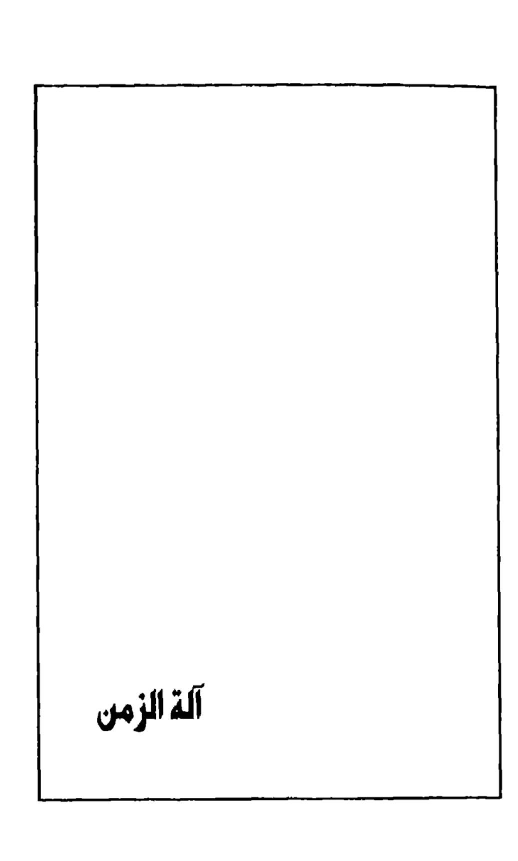
الأدب
العالمي
للناشئين

آلة الزمن

هـ . ج . ويلز



مهرجان القراءة للجميع



آلة الزمن

آلــة الــزمــن

هـ. ج ويلز

ترجمة: محمد العزب موسى



مهرجان القراءة للجميع ٩٧

مكتبة الأسرة

برعاية السيدة سوزان مبارك

(الأدب العالمى للناشئين)

آلة الزمن

هـ ج ويلز

ت: محمد العزب موسى

الغلاف

الإشراف الفنى:

للفنان محمود الهندى

المشرف العام

د. سمير سرحان

الجهات المشتركة:

جمعية الرعاية المتكاملة المركزية

وزارة الثقافة

وزارة الإعلام

وزارة التعليم

وزارة الإدارة المحلية

المجلس الأعلى للشباب والرياضة

التنفيذ: الهيئة المصرية العامة للكتاب



مقدمة

وهكذا تمضى مسيرة مكتبة الأسرة لتقدم فى عامها الرابع تسع سلاسل جديدة تضم روائع الفكر والإبداع من عيون كتب الآداب والفنون والفكر فى مختلف فروع المعرفة الإنسانية، تروى تعطش الجماهير للثقافة الجادة والرفيعة، وتنضم إلى مجموعة العناوين التى صدرت خلال الأعوام الثلاث الماضية لتغطى مساحة عريضة من بحور المعرفة الإنسانية، ولتقطع بأن مصر غنية بتراثها الأدبى والفكرى والإبداعى والعلمى، وان مصر على مر التاريخ هى بلاد الحكمة والمعرفة والفن والحضارة .. عبقرية فى المكان وعبقرية الإبداع فى كل زمان.

سوزان مبارك

على سبيل التقديم...

مكتبة الأسرة ٩٧ رسالة إلى شباب مصر الواعد تقدم صفحات متألقة من متعة الإبداع ونور المعرفة مصدر القوة فى عالم اليوم..

صفحات تكشف عن ماضينا العريق وحاضرنا الواعد وتستشرف مستقبلنا المشرق .

د. سمير سرحان

المــؤلف

يعتبر هربرت جورج ويلز من أوائــل الكتــاب الانجليز الذين كتبوا روايــات أدبيــة من « **الخيــال العلمى** » .. ومن اشهر رواياته العلمية « **آلة الزمن** » التى كتبها عــام ١٨٩٥ .. و « **الرجل الخفى** » التى كتبها عــام ١٨٩٧ .. و « **حرب الكواكب** » التى كتبها عــام ١٨٩٨ .

كان « **ويلز** » من عائلة فقيرة ، تعيش فى مقاطعة

((كنت)) بانجلترا .. وقد ولد فى ٢١ سبتمبر ١٨٦٦ ، ومات بلندن فى ١٣ أغسطس ١٩٤٦ .

وبسبب فقره اضطر لأن يعمل صبيا فى متجر لبيع الأقمشة ، وكان حينذاك فى الرابعة عشرة من عمره .. ثم ترك هذه المهنة التى لا تلائمه فى سن السابعة عشرة ، وعمل مدرسا فى مدرسة صغيرة باحدى القرى .

ولكن طموحه لم يتوقف عند هذا الحد ، واستطاع ان يحصل على منحة دراسية ساعدته فى الالتحاق بالجامعة ، وقضى فى تلك الدراسة ثلاث سنوات ولكنه لم يوفق فى الحصول على الشهادة الجامعية فى دراسة العلوم .. ومع ذلك فقد أشعلت هذه الدراسة قدرته على الخيال العلمى ، وكانت مصدر الهام لرواياته الأدبية .

ثم ثابر ((هـ.ج. ويلز)) على الدراسة العلمية حتى استطاع الحصول على شهادته الجامعية عن طريق الانتساب .

وكان هزيل الجسم ويعاني من مرض صدرى .. وتزوج زواجا غير موفق من سيدة من طبقته الاجتماعية المتواضـعة تدعى ((**ايزابيل**)) .. وعندما تخلص من هذا الزواج ، تزوج من فتاة شابة اصبحت اما لاثنين من أبنائـه .

التحق ((**ويلز**)) بعد ذلك بمهنة الصحافـة ، وأصبح من كتاب القصة القصيرة .. وكان أسـلوبه يتميز بالعمق والطرافة والجاذبية الشديدة ..

وذاعت شهرته عندما كتب رواية ((**آلة الزمن**)) التى نقدمها لك عزيزى القارىء فى هـذا الكتـاب .. وكان النجاح الذى حققه فى كتابة هـذا النوع من أدب الخيال العلمي دافعا له على ترك مهنة الصحافة ، بل وترك المدينة أيضا ليعيش حياة هادئة فى الريف ، تفرغ فيهـا لفن الكتابـة العلميـة والأدبيـة والاجتماعيـة والتاريخيـة .

وهكذا دخل ((**ويلز**)) تاريخ الأدب والثقافـة من أوسع ابوابه ، ومن أشهر كتبه التى صـدرت تباعا الكتب والروايات التالية :

- **أول رجال على سطح القمر** (١٩٠١) وقد ترجمناها لك وقدمناها فى هذه السلسلة .
- **طعام الآلهة** (١٩٠٤) .
- **كيبس** ـ ترجمت وقدمت فى هذه السلسلة .
- **الحرب فى الهواء** (١٩٠٨) .
- **آن فيرونيكا** (١٩٠٩) .
- **تاريخ مستر بوللى** (١٩١٠) .
- **ماكيا فيللى الجديد** (١٩١١) .
- **الزواج** (١٩١٢) .
- **العطلة** (١٩١٥).
- **روح المطران** (١٩١٧) .
- **جوان وبيتر** (١٩١٨) .
- الكتاب العظيم الشهير : **موجز تاريخ العالم** (١٩٢٠) .

- **شكل الأشياء القادمة** (١٩٣٣) .
- **لاعب الكروكيت** (١٩٣٦) .
- **الاخـــوة** (١٣٩٧) .
- **الرعب المقدس** (١٩٣٩) .
- وعديد من الروايـات والقصـص القصـيرة الأخرى بالاضافة الى الكثير من المقالات والدراسات فى التاريخ والاجتماع .

« رئيس التحرير »

(١) الاستهلال

كان ((**مسافر الزمن**)) ـ وسوف نتحدث عنه فى هذا الكتاب بصفته تلك لا باسمه ـ يشرح لنا مسألة عويصة .. كانت عيناه الرماديتان تلتمعان ، ووجهه المائل للشحوب يتأجج بالحماس .. وكانت النار تتصاعد فى المدفأة وضوء المصابيح ينعكس على الشراب فى كؤوسنا ، أما المقاعد التى نجلس عليها (والتى هى من اختراع مسافر الزمن نفسه) فكانت مريحة للغاية ، وكنا جالسين بعد أن تناولنا العشاء ، وهى مناسبة تفضل الاسترخاء فى الفكر والمناقشة أكثر من الجدية والدقة .

راح مسافر الزمن يفسر لنا الأمر كالتالى :

ــ عليكم أن تتابعوا ما أقوله جيدا ، فسوف أحدثكم بأشياء تختلف تماما عن الأفكار التى يتقبلها الجميع كحقائق مسلم بها ، لقد تعلمتم الرياضة فى المدرسة وعرفتم كل شيء عن الخطوط والزوايا والمثلثات وما أشبه .. هذه الرياضة التى تعلمتوها مبنية على فكرة خاطئة .

قاطعة فيلبى ذو الشعر الأحمر والمحب للجدل :

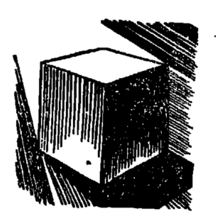
ــ انك تتوقع منا الكثير .

ــ سوف أشرح لكم أسبابى ، وسوف تعترفون بصحتها على الفور ، انتم تعرفون أن كلمة « خط » فى الرياضة هى مجرد اتجاه ، فالخط فى الرياضة ليست له كثافة ولا حقيقة ، انه ليس شيئا حقيقيا ، أن الخط يعنى السطح المنبسط ، وهو مجرد فكرة رياضية .

قال عالم النفس :

ـ هـذا صحيح .

ـ والآن ، انظروا الى المكعب ، ان له ستة أوجه ، الطول .. والعرض .. والعمق ، هل يمكن أن يكون للمكعب وجود حقيقى ؟



المكعب له ستة أوجه

رد فيلبى :

ـ طبعا ، كل الأشياء الجامدة لها وجود حقيقى .

ــ انتظر قليلا ، هل يمكن للمكعب الذى ليس له اى زمن أن يعد شيئا حقيقيا ؟

استغرق فيلبى فى التفكير ، **وواصل مسافر الزمن :**

ــ ان الأمر واضح ، ان كل الأشياء الحقيقية يجب أن يكون لها امتداد ، أى أن تكون لها أربعة أبعاد ، ثلاثة منها فى الاتجاهات .. الطول والعرض والعمق ، والبعد الرابع فى الزمن .. ونحن نستطيع أن نتحرك فى المكان الى الخلف والأمام والجانب ، ولكننا نتحرك فى الزمن فى اتجاه واحد فقط من البداية الى نهاية حياتنا ، ولذا فاننا نميل الى اعتبار البعد الزمنى كأمر مختلف عن الأبعاد المكانية الثلاثة .

قال الشاب الصغير وهو يحاول أن يشعل غليونه :

ــ أجل .. هذا واضح تماما .. حتى الآن .

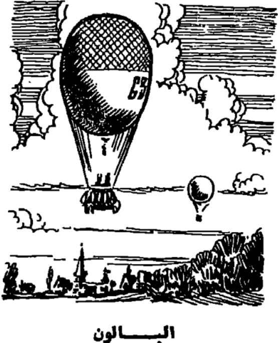
ــ ومع ذلك ليس هناك فارق حقيقى بين هذه الأبعاد الزمانية الثلاثة وبين البعد الزمنى .

قـال الطبيب :

ــ ولكن ، اذا لم يكن هنـاك فارق كما تقول ، فلمـاذا لا نسـتطيع أن نتحرك فى البعـد الزمنى الى الوراء والى الأمام ، كما نتحرك فى المكان ؟

ابتسم مسافر الزمن **وقـال :**

ــ هل أنت متأكد أن فى قدرتنـا أن نتحرك فى



البـالون

المكان بحرية كما نشاء ؟ اننا نستطيع أن نتحرك يمينا أو يسارا ، الى الخلف والى الأمام ، ولكن هل نستطيع أن نتحرك الى اعلى واسفل ؟

ـ هناك البالونات (*) .

ـ أقصد قبل اختراع البالون ، باستثناء القفز الى أعلى والتسلق ، ليس فى مقدور الانسان أن يتحرك الى أعلى واسفل .

قال الطبيب :

ـ فى مقدورنا أن نتحرك قليلا ، والحركة الى أسفل أسهل من الحركة الى أعلى ، ولكن لن يمكنك أن تتحرك اطلاقا من الزمن ، أى لا يمكنك التحرك من اللحظة الراهنة .

قال مسافر الزمن :

ـ كلا يا سيدى ، هذا هو الخطأ من الميلاد

(*) لاحظ أن هذه القصة كتبت قبل اختراع الطائرة والصاروخ . "م"

الى الوفـاة نحن نتحرك فى الزمن ، كما يمكننـا أن نتحرك الى أسفل اذا بدأنا وجودنا من ارتفاع خمسين ميلا مثلا فوق سطح الأرض .

قال عالم النفس :

ـ ولكن فى امكانك أن تتحرك فى كل الاتجاهات فى المكان ولا يمكنك أن تتحرك فى الزمان .

ـ انت مخطىء .. اذا تذكرت شيئا فى غايـة الوضوح فاننى أرجع فى الزمن الى اللحظـة التى حدث فيها هـذا الشىء ، وبالطبع لا يمكننا البقاء فى اللحظة التى تراجعنا اليها أى وقت ، كما لا يمكن لحيوان ان يظل مرتفعا فى الهواء ستة أقدام فوق سطح الأرض ، ان الانسـان يمكنـه أن يمكث ما يشاء فى البالون فلماذا لا نأمل أن يكون فى امكانه أن يتوقف فى اللحظـة الزمنية أو يسرع فى الزمن القادم ، أو يدور القهقرى ويسافر فى الزمن المـاضى ؟

قال فيلبى :

ـ أوه .. هذا ضد العقل ، لن يمكنك أن تقنعنى بذلك .

قال مسافر الزمن :

ـ منذ وقت طويل جاءتنى فكرة اختراع آلة فى مقدورها أن تسافر فى أى اتجاه أو بعد فى المكان أو الزمان .

ضحك فيلبى ، **وواصل مسافر الزمن :**

ـ وقمت بتجربة بالفعل ، وتأكدت من صحة فكرتى .

فقال عالم النفس مبتسما :

ـ سيكون هذا الاختراع مفيدا جدا للمؤرخ ، سيكون فى امكانه مثلاأن يسافر الى الماضى ويرى ما حدث حقيقة فى معركة ما .

وقال الشاب :

ـ ويمكنك أن تسافر الى الماضى وتسمع كيف

كان الاغريق القدامى ينطقون الاغريقية ، أو أن تقرض نقودك الى بنك ثم ترجع عائدا الى الحاضر وتصرف الفائدة .

قال عالم النفس :

ـ هذا محض خيال !

صحت :

ـ التجربة .. عليك أن تطلعنا على هذا التجربة !

قال عالم النفس :

ـ نعم عليك أن ترينا تجربتك رغم أننا نعلم ان هذا هراء فى هراء .

أخذ مسافر الزمن يتأمل فينا مبتسما ثم قام وهو لا يزال يبتسم ووضع يديه فى جيوبه وسار ببطء الى خارج الغرفة ، وسمعنا وقع خطاه فى الممر الطويل المؤدى الى معمله .

نظر الينا عالم النفس **وقــال :**

ــ اننى اتعجب ماذا سيحضر لنا !

قــال الطبيب :

ــ خدعة ما . .

واخذ فيلبى يحكى لنا عن رجل شـــاهده فى المسرح يؤدى الاعيب « سحرية » ، ولكن قبل أن ينتهى من كلامه عاد مســافر الزمن .

(٢) التجربـــة

دخل مسافر الزمن الغرفة وهو يحمل فى يده أطارا معدنيا لامعـا فى حجم سـاعة حـائط صغيرة ومصنوعة برقة فائقة .

والآن سأحكى بدقة بالغة ما حدث : من المستحيل تماما أن تفسر ما حـدث ما لم تقبـل (بالطبـع) تفسيرات مسافر الزمن .. وجدناه يأخذ احدى الموائد الصغيرة المتناثرة فى أرجـاء الغرفـة ويضعها أمـام المدفأة ، ثم وضع فوقها الآلة ، كان ضـوء المصـباح اللامع يغمر الآلة ، وكانت هناك حوالى اثنتى عشرة

شمعة تحترق .. اثنتان على الرف فوق المدفـأة والأخريات فى شمعدانات مثبتة فى الحائط ، وهـكذا كانت الغرفة مضاءه اضاءة جيدة .

جلست على كرسى فوتيـل منخفض بالقرب من النار ، وجذبت الكرسى الى الأمام حتى أصبحت بين مسـافر الزمن والمدفـأة ، وكان فيلبى ذو الشـعر الأحمر والمحب للجدل يجلس خلفى ينظر من فوق كتفى ، والطبيب يراقب ما يحدث من الزاوية اليمنى . وعالم النفس ينظر من الناحية اليسرى ، وكنا جميعا متيقظين تماما ، ولا أعتقد أن خدعة ما مهما كانت بارعة يمكن أن تنطلى علينا فى هذه الظروف .

أخذ مسافر الزمن ينظر الينا ثم نظر الى الآلة .

وقال عالم النفس :

ــ حسـنا ؟

اراح مسافر الزمن ذراعيه فوق المـائدة وعقد يديه معا فوق الآلة .



هــذا نموذج صغير لآلــة الزمن

وبدأ يقول :

ـ هذا مجرد نموذج صغير للآلة الكبيرة التى أقوم بصنعها ، انه فكرة وضعتها عن آلة تقوم بالسفر عبر الزمن ، تلاحظون انه ليس مربعا كاملا وهـذا العمود له لمعان غريب .

وأشار الى ذلك الجزء بأصبعه ومضى يقول :

ـ وتلاحظون أيضـا أن ثمـة مقبضـا أبيض صغيرا هنا ، وهنا مقبض آخر .

قـام الطبيب من مقعـده وألقى على الاختراع نظرة فاحصة . وقـال :

ـ انه جميل الصنع .

رد مسافر الزمن :

ـ لقد قضيت فى صنعه عامين كاملين .

وبعد أن قمنا جميعا وفحصنا الجهـاز بدقـة كما فعل الطبيب ، قال مسافر الزمن :

ـ والآن أريد منكم أن تستوعبوا ما أقول بوضوح ، عندما أدير هذا المقبض تندفع آلة الزمن فى المستقبل ، اما هذا المقبض فهو يعكس الاتجاه ويدفع الآلة فى الاتجاه المقابل ، وهذا هو مقعد المسافر ، فى لحظات سوف أدير هذا المقبض ، وعندئذ تختفى الآلة ! سوف تندفع فى زمن المستقبل ولن ترونها فيما بعد ، انظروا جيدا الى هذا الشيء ، وانظروا الى المائدة أيضا ، وتأكدوا انه ليست هناك خدعة ما ، لست أريد أن أفقد هذا النموذج ثم يقال بعد ذلك اننى غشاش .

سادت لحظة من الصمت ، وبدا لى كأن عالم النفس يوشك أن يتكلم ثم غير رأيه والتزم السكوت .

وعندئذ وضع مسافر الزمن أصبعه تجاه المقبض ، ثم قال **فجأة** :

ـ كلا ، فليقم أحدكم بذلك .

والتفت الى عالم النفس وأمسك بيده وطلب منه أن يضع أصبعه فوق المقبض ، وهكذا كان عالم

النفس هو الذى أطلق نموذج آلة الزمن فى رحلتـه اللانهائية ، رأينا جميعـا المقبض وهو يتحرك ، اننى متأكد تماما من انه لم يكن هناك خدعة ما ، أحسسنا بلفحة هواء ، تراقصت بسببها شعلة المصباح وانطفأت احدى الشموع ، وفجأة دارت الآلة الصغيرة وتضاءلت ثم اختفت تماما من فوق المـائدة التى لم يعد فوقهـا سوى المصباح .

ظل الجميـع صـامتين لمدة دقيقة ، **ثم قـال فيلبى :**

ـ حسبنا ، أنا مندهش تماما .

وأفاق عـالم النفس من دهشته ، ونظر تحت المـائدة ، بينما كان مسـافر الزمن يضحك بابتهـاج ، **ثم قال لعالم النفس :**

ـ ما رأيك ؟

وقام من جلسته ، وذهب الى صندوق الطباق فوق الرف ، وعـاد الينا وهو ينفث دخان غليونه .

نظرنا صامتين بعضنا الى بعض ، **وقال الطبيب :**

ـ اسمعوا ! هل تصدقون ذلك حقا ؟ هل تعتقدون ان الآلة سافرت فى الزمن ؟

قال مسافر الزمن وهو ينحنى ويشعل غليونه :

ـ بالتأكيد أنى اقصد ذلك .

ثم نظر الى وجه عالم النفس ، ويبدو أن عالم النفس أراد أن يثبت انه يسيطر على نفسه جيدا ، فقام واخذ سيجار وحاول أن يشعله ولكنه نسى ان يقطع طرفه الأسفل .

وقال مسافر الزمن :

ـ بالتأكيد أنا أقصد ذلك ، وقد قمت بصنع آلة كبيرة كدت انتهى منها هناك (واشار ناحية المعمل) وعندما يتم تجميعها نهائيا أنوى أن أقوم برحلة فيها !

ســال فيلبى :

ـ هل تقصــد أن تقول ان الآلة ســافرت فى المســتقبل ؟

ـ لقد سافرت فى المستقبل أو المــاضى لســت متأكدا من الاتجــاه .

وبعد قليل قال عالم النفس وكأنه قد وقع على فكرة ذكية :

ـ لابــد انها انطلقت فى المــاضى اذا كانت قــد ذهبت الى أى مكان .

سال مسافر الزمن :

ـ لمــاذا ؟

ـ أفهم انها لم تتحرك فى الفضاء ، والآن هــذه اللحظة التى نحن فيها كانت زمنا قادما عندما تحركت الآلة ، واذا كانت قد سافرت فى المستقبل لكنــا قــد رأيناها الآن .

قـالت :

ـ ولكن .. عندما جئنا الى هذه الغرفة هـذا المساء كنا فى زمن ماض ، وعندما كنا هنا يوم الخميس المـاضى كان الزمن ماضيا ، فاذا كانت الآلة قد سافرت فى المـاضى لكنا قد رايناها الآن .

قـال فيلبى :

ـ تمام .. ان الأمر بحاجة الى تفسير !

قـال مسافر الزمن موجها حديثـه الى عـالم النفس :

ـ يمـكنك أن تفسر ذلك .. ان الأمر سـهل جـدا .

قال عالم النفس :

ـ بالتأكيد .. نحن لا نستطيع أن نرى الآلـة كما لا نستطيع أن نرى عجـلة تدور بسرعة فائقـة او رصاصة بندقيـة تنطلق فى الجو ، انها تنطلق فى

الزمن اسرع خمسين مرة من قدرتنا على المتابعة ، اى انها تقطع فيما نظنه ثانيــة واحدة مقدار دقيقة كاملة ، انها تسافر بأسرع مما يمكننا أن نلاحقه .

وأشاح بيده فى الفضــاء الذى كانت فيه الآلة **وقــال ضاحكا :**

ـ ها أنتم ترون ما حدث !

جلســنا نحــدق فى المــائدة الفارغــة دقيقــة أو دقيقتين ، **ثم سالنا مسافر الزمن :**

ـ حســنا ، ماذا تظنون فيما رايتم .

قــال الطبيب :

ـ يبدو الأمر حقا هذه الليلة ، ولكن انتظر الى الصباح ، انتظر الى ادراك الصباح .

بعد قليل سالنا مسافر الزمن :

ـ هل تودون أن تروا آلة الزمن بانفســكم ، اقصد الآلة ذات الحجم الكامل .. ؟

وامسك بالمصباح وقاد خطانا فى السرداب الطويل البارد المؤدى الى معمله .. واذكر بوضـوح تام هالة الضوء المرتعشة وراسه العريضة الغريبة وهى تبدو كشكل أسود ، وراء تلك الآلة ، وتراقص الظلال من حولنا ، تبعناه حائرين غير مصدقين الى غرفة المعمل وهناك شاهدنا آلة كبيرة تشبه الآلة التى رأينـاها تختفى أمام عيوننا ، كانت تامة تقريبا فيما عدا بعض القضـبان المعوجة تستقر غير منتهيـة على المـائدة بالقرب من بعض الصفحات التى عليها رسوم ، فأخذت واحدا من تلك القضبان لأفحصه بامعان .

قـال الطبيب :

ـ هل انت جاد حقـا ؟ أم ترى تلك خـدعة اخرى كذلك الشبح الذى أريتنا اياه فى عيد الميـلاد السـابق ؟

رفع مسـافر الزمن المصباح فى يده وقـال :

ـ انني انوى السفر بنفسى فى هذه الآلة .. هل هذا واضح ؟ انني جاد تماما هذه المرة .

ظللنا صامتين حائرين لا نستطيع ان نقول شيئا ، ولمحت عين فيلبى من فوق كتف الطبيب وهو يغمز لى فى هدوء .

(٣) عودة «مسافر الزمن»

اعتقد انه حتى ذلك الحين لم يكن احـد منـا يصدق حكاية آلة الزمن ، فان مسـافر الزمن كان من هؤلاء الرجال الذين يبلغون درجة من المهـارة تجعلهم غير جديرين بالتصـديق ، فانت دائما تشك أن هناك شيئا يخفيه خلفه أو هنـاك خدعة ماهرة تكمن وراء تفسيراته الواضحة الصريحة .

اذا كان فيلبى مثلا هو الذى أرانا نموذج آلـة الزمن وشرح لنا كيف تعمل بنفس كلمـات مسـافر الزمن ، لكنا أكثر استعدادا لتصديقه ، لأننا نثق فى

أغراضه ، اذ أن من السـهل جدا ان تفهم فيلبى ، اما مسافر الزمن فانه غريب مريب ونحن لا نثق فيه.. والأشياء التى يمكن أن تجعل من الناس العاديين مشاهير تبدو بمثابـة خدع بين يديه ، ان من الخطـأ أن تفعل الأشياء بسهولة مطلقـة ، فالناس الجـادون الذين يرون فى عمله امتيازا لا يثقون تمام الثقة فى سلوكه ، ويشعرون ان منحه ثقتهم التامة أشـبه بمنح الثقة لأطفال ينقلون كمية من صحون الصينى الرقيقة .

اعتقد اننا لم نتكلم كثيرا عن هـذا الأمر بين ذلك الخميس ويوم الخميس التالى ، ومع ذلك فان ما حدث لم يغب عن أذهاننا وان كان من الصعب أن نصـدقه أو نصدق ما يوحى به من خيالات غريبة ، أنا شخصيا كنت مهتما بخدعة تجربة النموذج ، وأذكر اننى ناقشت الأمر مع فيلبى عندما التقيت به فى النادى يوم الجمعة، وقال لى انه شـاهد شيئا يشبه ذلك فى توبنجن ، واضـاف أن انطفاء الشمعة يبدو هاما ، ولكنـه لم يستطيع أن يفسر كيف سارت الخدعة .

وفى يوم الخميس التالى ذهبت الى منزل مسافر الزمن فى ريتشموند ، اعتقد اننى من اكثر ضيوف مسافر الزمن انتظاما فى زيارته ، ووصلت متأخرا ، كان الطبيب يجلس امام النار المنبعثة من المدفأة وفى احدى يديه قطعة من الورق وساعته فى اليد الأخرى .

اخذت أجول بعينى باحثا عن مسافر الزمن فلم اعثر له على اثر . **وقال الطبيب :**

ــ ان الساعة الآن السابعة والنصف ، اعتقد أن من الأفضل تناول العشاء .

سألت :

ــ اين مضيفنا ؟

ــ هل جئت حالا .. ؟

ــ اجل .

قال الطبيب :

ــ انه لشىء غريب ، انه يقول انه قد يتأخر ، وترك لنا هذه الورقة يطلب فيها أن نتناول عشاءنا

فى الساعة السابعة اذا لم يعد حتى ذلك الحين ، ويضيف سأشرح لكم الأمر حين أعود .

وقال رئيس تحرير احدى الصحف اليومية المعروفة :

ـ خسارة أن نترك طعام العشاء يفسد .

وقرع الطبيب الجرس مناديا الخادم .

كنا نحن الثلاثة فقط ، أنا وعالم النفس والطبيب ، الذين حضرنا عشاء الخميس الماضى ، اما الآخرون فهم مستر بلانك (رئيس التحرير) وصحفى شاب ، ورجل هادىء له لحية ، لا اعرف من هو ولم أره يفتح فمه ليتحدث طيلة الليلة .

وعلى مائدة العشاء أخذنا نتساءل ونتعجب لغياب مسافر الزمن ، قلت ضاحكا لعل الأمر يتعلق بمسألة السفر فى الزمن .. فبدت الدهشة على رئيس التحرير وطلب أن نشرح له الأمر ، فأخذ عالم النفس يحكى بطريقة شوهاء عن « الخدعة الذكية » التى رأيناها يوم الخميس الماضى .

وفيما هو فى منتصف حكايته انفتح باب الممر ببطء دون ضجة وكنت أنا أول من شاهده لاننى اجلس فى قبالة الباب .

قالت :

ـ هاللو .. اخيرا !

ازدادت فتحة الباب اتساعا ، ووقف مسافر الزمن امامنا ندت عنى صيحة دهشة ، ولم يلبث أن رآه الطبيب **وصاح :**

ـ يا للسماء ! ما الأمر ؟

اتجهت وجوه جميع الرجال الجالسين الى المائدة نحو الباب .

كان مسافر الزمن فى حالة مزرية ، معطفه مترب متسخ وأكمامه مغطاة بشىء كالنجيل الأخضر ، وشعره منكوش وبدا لى أكثر شيبا مما كان عليه ، سواء بسبب التراب والقذارة أو ربما لونه قد راح حقا ، وكان وجهه فى شدة الشحوب وثمة جرح فى ذقنه

كاد يجف ، وتدل تقاطيع وجهه على مغاناة شديدة .. وظل واقفا لمدة دقيقة فى مدخل الباب كأن عينيه يؤذيهما النور ، ثم دخل الى الغرفة وسار يجر رجليه كما يفعل الشحاذون .

حملقنا فيه صامتين فى انتظار أن يتكلم ، ولكنه لم ينطق بكلمة ، وسار الى المائدة واشار الى الشراب ، فقام رئيس التحرير بملء قدح له وقدمه اليه ، جرعة الرجل فى رشفة واحدة وبدا عليه بعض الارتياح ، ونظر حول المائدة وطاف على شفتيه شبح ابتسامته المعهودة .

قال الطبيب :

ـ ماذا حدث لك بحق السماء ؟

بدا مسافر الزمن كأن لم يسمع ، ثم **قال فى بطء وصعوبة :**

ـ أرجو أن لا أكون قد ازعجتكم ، اننى بخير ..!

ثم توقف عن الكلام ومد يده بالقدح لمزيد من

الشراب ، ورشــف الشراب ، فصــارت عينــاه أكثر التماعا وعلت خديه حمرة خفيفة ، ونظر فى وجوهنا ، ثم تحدث مرة اخرى وهو لايزال يتلمس خطواته بين الكلمــات .

قـــال :

ـ سأذهب لاغتسـل وارتدى ملابسى ، ثم آتى اليكم لأشرح الأمر .. اريد بعضــا من هذا اللحم انى مشـتاق لقطعة من اللحم .

ونظر الى رئيس التحرير قائلا :

ـ نـادرا ما تزورنـا .. أرجو أن تـكون على ما يرام .

بدا على رئيس التحرير كأنه يود ان يلقى سؤالا ، **وقال مسافر الزمن :**

ـ سوف أخبركم حالا بكل ما تودون أن تسمعوه، اننى أشعر بكونى غريبــا ، ولكنى سأكون على ما يرام حــالا .

وضع قدحه على المائدة وسار تجاه الباب المؤدى الى السلم ، لاحظت مرة اخرى انه يمشى بالم وصعوبة ، وسمعت وقع خطواته الخفيفة وهو يبتعد ، وقفت فى مكانى فرأيت قدميه وهو يسير .. لم يكن يرتدى حذاء وكان جوربه ممزقا وملوثا بالدماء ، ورايت الباب يغلق وراءه .

فكرت أن أتبعه ، ثم تذكرت انه يكره ان يبدى احد قلقا عليه أو يحاول أن يساعده .

وعاد ذهنى مرة اخرى الى المائدة **عندما سمعت رئيس التحرير يهمس لنفسه :**

ـ يا له من سلوك غريب عن عالم كبير .

كان يفكر كالعادة فى المانشيت الذى يضعه بحروف كبيرة على صدر صحيفته .

* * *

وسال الصحفى الشاب :

ـ ما الخبر ؟ انه يبدو كشحاذ . انى لا أفهم شيئا !

التقيت بنظرات عالم النفس ، فرايت ان تفسيره هو نفس تفسيرى ، ورحت أفكر فى مسافر الزمن وهو يجر قدميه بألم فوق السلم ، لا اعتقد ان احدا آخر شاهد قدميه .

كان الطبيب هو أول من أفاق تماما من الدهشة، وقرع الجرس للخادم وأمره باحضار صحن ساخن (كان مسافر الزمن يكره وجود الخدم فى الغرفة أثناء العشاء) .

تناول رئيس التحرير السكين والشوكة وبدا يأكل ، وكذلك فعل الرجل الصامت ، وانخرط الجميع فى الأكل ، وظلت المحادثة بيننا مجرد كلمات تعجب تتلوها فترات من الصمت ، وكل منا يفكر فيما يكون قد حدث ، واخيرا لم يستطع رئيس التحرير أن يتغلب على دهشته ، **فسأل :**

ـ ترى هل اعتاد صديقنا أن يعمل كناسا فى الشارع .. أم تراه قد تعود أن يأكل العشب فى الحقول ؟

قـلت :

ـ انا متأكد تماما أن الأمر يتعلق بآلة الزمن !

ثم واصلت ما كان يحكيه عالم النفس عما حدث في اجتماع يوم الخميس المـاضى ، ولكن الضـيوف الجدد لم يصدقوا القصة ، واعترفوا بذلك .

وقال رئيس التحرير متسائلا :

ـ ماذا هو السفر فى الزمن ؟ هل يمكن الانسان أن يغطى نفسه بالتراب بالتفكير فى فكرة رياضية ؟

ثم بدأ ينظر للأمر من زاوية فكهة ، **فقـال :**

ـ ترى هل ليس لديهم فرشـــاة مـلابس فى المستقبل ؟

أما الصحفى الشاب فبدا عليه عدم الاقتناع التـام بالقصـة كلها ، وشارك رئيس التحريـر فى الضحك من الأمر .. كان الاثنان من النوع الجديد من الصحفيين ، هؤلاء الشبان الفكهون الذين ليس لديهم احترام لأى شيء .



اخذ الصحفى يقول ، بل يصيح :

من مراسلنا الخاص فى ما بعد غد .

وعندما عاد مسافر الزمن كان يرتدى ملابس المساء المعتادة ، ولكن تعبير وجهه ظل متغيرا كما كان ، مما أشعرنى بالقلق .

قال رئيس التحرير ضاحكا :

ـ أقول .. هؤلاء الزملاء يقولون انك كنت مسافرا فى منتصف الأسبوع القادم ، اخبرنى ماذا ستفعل الحكومة عندئذ ؟ هل لك أن تخبرنى ؟ وكم تريد ثمنا للقصة بأكملها ؟

اتخذ مسافر الزمن مقعده على المائدة دون أن ينطق بكلمة ، ثم ابتسم بهدوء كعادته القديمة **وقال :**

ـ أين قطعة اللحم التى طلبتها ، ما الذ أن ترشق الشوكة فى اللحم مرة أخرى .

صاح رئيس التحرير :

ـ الينا بالقصة من فضلك !

قال مسافر الزمن :

ـ اريد أولا أن آكل شيئا .. لن أقول كلمة واحدة قبل أن ألتهم بعض اللحم .. شكرا .. الى بالملح .

قلت :

ـ اريد كلمة واحدة فقط .. هل كنت مسافرا فى الزمن .

أومأ مسافر الزمن وهو يلوك قطعة كبيرة من اللحم فى فمه :

ـ اجل !

قال رئيس التحرير :

ـ سوف أعطيك شلنا لكل سطر من القصة .

❋ ❋ ❋

دفع مسافر الزمن بكأســه ناحية الرجل الصامت وطرق عليه بظفره ، فتوقف الرجـل الصـامت عن الحملقة فى وجه مسافر الزمن وقفز من مقعده وملأ له الكأس بالنبيذ ، واستمر التوتر طيلة العشـاء .. الأسئلة المفاجئة تكاد تقفز بين شفتى ، واتوقع أن كان كل الحـاضرين فى نفس هذه الحالة ، وحاول الصحفى الشاب أن يخفف من التوتر ببعض الحكايات الفكهة ، أما مســافر الزمن فقد كان يركز كل اهتمامه فى الأكل ويلتهم الطعام كالانســان الفجع ، واشـعل الطبيب سيجارة واخذ يراقب مسافر الزمن بهدوء ، واستمر الرجل الصامت يبدو أحمق كالمعتاد ولم يتوقف عن شرب النبيذ .

وأخيرا ، ازاح مسافر الزمن الطبق من أمامــه ، ونظر نحونا ، ونحن نجلس حوله ، **وقــال :**

ــ اود أولا أن اعتذر عن تصرفى ، لقد كنت فى حاجة ماسـة الى الطعـام ، لقد قضيت وقتا مثيرا للغايـة .

ومد يده فأخذ سيجارا وقطع طرفه الأسفل وقال :

ـ هيا بنا الى غرفة التدخين .. انها قصة طويلة .

وتقدمنا الى غرفة التدخين وهو يقرع الجرس لمناداة الخادم .

ثم جلس على كرسيه الفوتيل وسألني وهو يشير الى الضيوف الثلاثة :

ـ هل اخبرت السادة عن آلة الزمن ؟

قال رئيس التحرير على الفور :

ـ انها خدعة رياضية .. مجرد فكرة .

* * *

قال مسافر الزمن :

ـ لا اود ان ادخل فى جدل هذه الليلة .. لا مانع أن أخبركم بالقصة ، ولكنى لا أريد أن اتجادل ،

ساخبركم بقصة ما حدث لى ، اذا اردتم ، ولكن عليكم ان لا تقاطعونى بالأسئلة ، اريد فقط ان اخبركم بما حدث ، بل اريد ذلك جدا ، ان معظم ما سوف اقوله سوف يبدو لكم كأكاذيب ، ولكنها الحقيقة التامة ، كل كلمة فيها صادقة .. لقد كنت فى غرفة المكتب فى الساعة الرابعة ، ومنذ ذلك الحين عشت ثمانية أيام .. أيام لم يشهدها أحد مطلقا من قبل ! اننى متعب للغاية الآن ، ولكنى لن أنام قبل ان أحكى لكم ما حدث ، وبعدئذ سآوى الى فراشى ، ولكن ارجوكم عدم الأسئلة .. هل اتفقنا ؟

قال رئيس التحرير ونحن نؤيده :

ـ اتفقنا !

بدأ مسافر الزمن يحكى القصة كما كتبها هنا ، كان يجلس فى كرسيه وبدأ يتحدث أولا كرجل منهك بالتعب ، وبعد ذلك دبت فيه الحيوية ، ان قلمى وحبرى يعجزان عن تدوين القصة ، كما اعجز انا ككاتب عن ابراز محتواها . اننى افترض انك تقرأ

الكتاب بامعان واهتمام ، ولكنك لا تستطيع ان ترى وجه المتحدث الأبيض الصادق فى دائرة الضوء التى يلقيها المصباح الصغير أو تسمع نبرات صوته ، ولا تستطيع أن تعرف كيف كانت تعبيرات وجه وهو يحكى ما حدث ، معظمنا نحن السامعين كنا فى الظل لأن الشموع فى غرفة التدخين لم تكن مشعلة ، وكان لا يبدو فى الضوء سوى وجه الصحفى الشاب وقدمى الرجل الصامت .. فى البداية كنا نعاود النظر بعضنا الى بعض بين الحين والآخر ، ولكننا لم نلبث أن توقفنا عن ذلك ، وركزنا نظراتنا على وجه مسافر الزمن .

(٤) عـام ٨٠٢٫٧٠١

هذه قصة ما حدث على لسان مسافر الزمن :

شرحت لكم يوم الخميس المـاضى المبادىء التى تسـير عليها آلة الزمن ، واريتكم الآلة ذاتها فى العمل قبل ان تتم ، انها موجودة هنـاك مرة اخرى الآن ، ولكنهـا ابليت بالسفر ، أحد الواحهـا الخشبيـة مشروخ ، واحد عمدانها المعدنية ملتو ، ولكن الباقى لا باس به .

كنت اتوقع أن انتهى من العمل فيها يوم الجمعة، ولكنى بعد أن انتهيت تقريبـا يوم الجمعة وجدت ان

أحد العمدان المعدنية فيها أقصر بمقدار بوصة واحدة ، وكان على أن أصنع عمودا جديدا ، ولذا لم تعد الآلة جاهزة للعمل حتى صباح هذا اليوم .

وفى الساعة العاشرة هذا الصباح بدأت أولى آلات الزمن رحلتها الأولى ، قمت أولا باختبار كل أجزائها وتأكدت من تثبيت كل مسمار فيها ، ثم جلست على المقعد ، أتذكرون مشاعر انسان يمسك مسدسا ويصوبه على رأسه ليقتل نفسه ، أعتقد انه سوف يستبد به الفضول لمعرفة ما سوف يحدث ، نفس هذا الفضول ممتزجا بالخوف والقلق أستبد بى وأنا ممسك بالمقبض فى يدى .

أمسكت بمقبض التشغيل فى يد ، ومقبض الايقاف فى اليد الأخرى ، وادرت المقبض الأول ثم ادرت الآخر فى ثانية واحدة ، احتوانى الشعور المخيف الذى يشعر به انسان يسقط من جبل فى حلم مزعج ، نظرت حولى فوجدت المعمل كما هو ، هل يا ترى قد حدث شيء ؟ ظننت أولا أن ذهنى خدعنى ،

ثم نظرت الى الساعة المعلقة على الحائط .. خيل لى انها كانت منذ دقيقة واحدة تشير الى العاشرة تماما أما الآن فان عقاربها تقف على الثالثة والنصف .

* * *

اخذت شهيقا كبيرا ، وضغطت على اسناني ، وامسكت بمقبض التشغيل بيدى الاثنتين ، واندفعت الى الأمام .. أصبح المعمل فى نظرى يملؤه الضباب ثم جاء الظلام ، وشعرت بسيدة المنزل مسز واتشيت تدخل وتخرج مسرعة دون أن ترانى ، اتصور أن دخولها وخروجها مرة اخرى الى الحديقة استغرق حوالى دقيقة ، ولكنها بدت لى كأنها اخترقت الغرفة مثل طلقة رصاصة .

ادرت مقبض الآلة الى ابعد ما يمكن أن يذهب . فجاء الليل كأنه انطفاء مصباح ، وبعد دقيقة جاء النهار التالى ، واصبح المعمل خافتا مضببا ثم ازداد خفوتا وضبابا ، وجاء ليل اليوم التالى وتلاه النهار

ثم الليل مرة أخرى ، فالنهار الذى يليه ، بسرعة فائقة ، وكانت ثمة همهمات ترتفع ثم تخمد تملأ أذنى ، واضطرب ذهنى .

آسف اننى لا استطيع أن اصف لكم بالدقة مشاعر من يسافر فى الزمن ، انها مشاعر غير محببة ، تشبه مشاعر من يهبط مندفعا على سطح جبل دون أن يستطيع التحكم فى اندفاعه ، مشاعر السقوط العاجز ، كما شعرت بخوف من يتوقع صدمة مفاجئة ، وعندما زدت من السرعة تعاقب الليل والنهار كضربات جناح طائر أسود .

وبدا منظر المعمل المظلم يتلاشى امام عينى ورأيت الشمس تقفز بسرعة فى السماء كل دقيقة ، أى أن كل دقيقة تماثل يوما كاملا ، أتصور أن المعمل قد تهدم وأصبحت فى الجو المكشوف ، وخيل الى ان ثمة مبانى ترتفع من حولى ، ولكنى كنت أسرع مما يمكننى أن أتحقق من أية حركة ، هذا التتابع السريع من الظلام والضوء ، والظلام والضوء كالسينما السيئة

كان مؤلمــا لعينى ، ثم رايت فى ومضات الظلام القمر وهو يمر عبر مراحله المختلفة من الهلال الى البدر ثم المحاق ، كما رأيت النجوم كأنها دوائر من الضوء .

* * *

ومع المزيد من السرعــة تحول تعاقب الليــل والنهار الى مساحة رماديــة مستمرة ، واكتسبـت السماء لونا أزرق رائعا كلون ساعة الغروب ، وبدلا من أن تقفز الشمس فى السماء كما كانت تفعل تحولت الى خط من النار يشبــه البوابة اللامعــة ، وتحول القمر الى شريط باهت ، ولم أعد ارى النجوم فيما عدا بعض دوائر زرقاء لامعة تظهر بين الحين والحين .

كانت الأرض من حولى يكللها الضباب وعــدم الوضوح ، كنت لا أزال على جانب التل الذى يقوم عليه هــذا المنزل ، وكتف التل يرتفع فوقى رماديا معتما ، ورايت الأشجار تنمو وتتغير كأنها نفخات من الدخــان وتتحول من اللون الأخضر الى الرمادى ، تنمو



ورأيت الأشجار مغلفة بالدخان

وتنتشر ثم تهتز وتختفي ، ورأيت مبان هائلة ترتفع شاحبة ثم تمضي كالحلم ، وخيل الى كأن وجه الأرض كله يتغير وهو يذوب ويطوف أمام عيني ورأيت عقارب السرعة في الآلة تدور أكثر وأكثر ، ثم رأيت حزام الشمس يتحرك الى أعلى واسفل من وضع الشتاء الى وضع الصيف في أقل من دقيقة ، فعلمت

ان سرعتى أكثر من عـام كامل فى الدقيقة ، وخـلال دقائق قليلة اندفع غطـاء من الثلج فوق العـالم ثم اختفى وأعقبه لون ربيعى أخضر لامع .

* * *

تحسنت الآن المشاعر السيئة التى احسست بها فى البداية ، وتحولت الى نوع من الاثارة المجنونة ، ولاحظت أن الآلـة تترنح من جـانب الى جانب ولم استطع ان افسر لمـاذا تفعل ذلك ، فقد كان ذهنى من الاضطراب بحيث لا يمكنه التفسير ، وبنوع من الجنون المتنامى داخلى القيت بنفسى فى المستقبل ، فى أول الأمـر لم أكن افـكر فى التوقف ، كان كل ما يهمنى الاندفاع الى الأمام ، ثم جـاءت الى ذهنى مشـاعر جديدة .. مشاعر من الفضول الممتزج بالخوف ، ثم استولى على الخوف والفضول تماما ، وفكرت فى نفسى : ترى كيف تطور الانسان فى هـذا المستقبل الذى وصلت اليه ! ترى ما هى الانجازات الرائعـة

التى حققها ! ترى ماذا سأرى اذا توقفت فى هـذا العالم الذى يتسابق ويتغير امام عينى ؟

رأيت مبان عظيمة شاهقة ترتفع أمامى ، أضخم من اى مبنى فى زمننا ، ومع ذلك تبدو كأنها مبنية من الومضات والضباب ، ورأيت بساطا من السـندس الأخضر ينبسط على جانب التل ويبقى مكانه دون تغيرات شتوية ، وحتى بالرغم من غلالة الاضطراب التى تحيط بى ، بدت الأرض اكثر جمالا واستقر ذهنى على ضرورة التوقف لأرى ما يحدث عن كثب .

كان الخطر المحـدد يكمن فى احتمـال ان اقع انا ـ او الآلة ـ فى مكان غير مناسب ، فطالمـا اننى أسافر فى الزمن بسرعة هائلة هـذا لا يهم ، ولكن عندما أتوقف قد أجد نفسى ممتزجا مع أية مادة مهمـا تكن فى المكان الذى أجد نفسى فيه ، كمـا أن هـذا التوقف قد يؤدى الى انفجار يطيح بى وبآلتى خارج الزمن ـ فى اللامعلوم !

كنت قد فكرت فى ذلك مرارا وانـا أصنع الآلة ولكن فى ذلك الوقت كان يمكننى أن أقبل بالمخـاطرة

كخطر لا يمكن تجنبه ، خطر على الانسان أن يقبله !
أما الآن وأنا على وشـك المخاطرة فانني لا يمكنني ان آخذها بنفس الخفة ، وتدريجيـا أخذت تتغلب على مشاعري الغرابة المطلقة ، لكل شيء ، وترنح الآلـة من جانب الى جانب وشعوري المتواصـل بعملية السقوط مما اضعف ارادتي ، **فصـحت أولا** : لا يمكنني أن اتوقف ، **ثم انفجرت غاضبا أصيح** : لا بل سـوف اتوقف على الفور !

***

اندفعت كالمجنون وجذبت المقبض ، انقلبت الآلة على الفـور ووجـدت نفسي ملقى ـ برأسي أولا ـ في الهـواء .

سمعت صوتا كالرعد في أذني ، ويبدو انني وقعت مغشيا على بعض الوقت ، وسمعت صـوت تساقط كرات الثلج من حولي ، ثم ادركت انني أجلس فوق حشـائش في مواجهـة الآلة المقلوبة ، كل شيء مازال يبدو رمادي اللون ولكن سرعان ما تبينت ان الضجيج المتشابك في أذني قد توقف ، أخذت انظر حولي ، بدا

لى أننى أجلس فى ممر معشوشب صغير فى حديقـــة ، تحيط بى شجيرات الورد ، لاحظت أن ورودها الحمراء والأرجوانيـــة تنثنى تحت هذا السيل المنهمر من كريات الثلج الصغيرة ، كما غطت كريات الثلج الآلة وكونت ما يشبه السحابة فوقها وامتدت هذه السحابة على الأرض كالدخان ، وفى لحظة شعرت بأن جلدى مبتل .

صحت قـــائلا :

ـ يا لها من طريقة لطيفة لتحية رجل مســـافر عددا لا يحصى من السنين كى يأتى اليكم !

ثم فكرت فى نفسى :

ـ يا لى من أحمق أن أبتل هكذا !

قمت ورحت أنظر حولى ، رأيت بوضوح شكلا ضخما منحوتا فى نوع من الحجر الأبيض يبدو خلف أكمات الزهور خلال الغبار الضبابى المتساقط ، ولكن باقى ما فى العالم ليس مرئيا بالمرة .



عندما قل انهمار الثلج تبينت ما هو هذا الشكل بوضوح اكثر ، كان ضخما جـدا حتى ان الشـجرة الطويلة القائمـة بجواره لا تكاد تمس كتفه ، وله هيئة اسد براس انسان ، كما ان له اجنحة ممتدة كأنـه يطير مرتفعا فى الهواء ، اما قاعدته فمصنوعة من البرونز وعليها غطـاء كثيف من الصـدا الأخضر ، وتصادف أن وجه ابى الهول هـذا كان يواجهنى ، وبدا كأن عينيه الحجريتين تراقبانني .. وكما لو كان هنـاك شبح ابتسامة على شفتيه ، وقد عملت فيه عوامل التحات الجوى بشدة مما اعطـاه مظهرا كئيبا كأنه مريض .

وقفت انظر الى هـذا الشىء بعض الوقت ، ربما نصف دقيقة او نصف ساعة لست أدرى ، وبدا لى كأنه يتقدم او يبتعد من خلال الثلج الذى يتساقط امامه ، وأخيرا ابعدت ناظرى عنه ورأيت أن الثلج كاد يتوقف والسـماء ساطعـة تنبىء عن قرب طـلوع الشمس .

نظرت مرة اخري الى الشكل الأبيض الضخم واحسست ان كل رعب الرحلة هاجمنى فجـأة ، ترى ما الذى سوف يبدو حين تنزاح هذه الســتارة من الضباب جانبا ؟ ما الذى حدث للانسان سـواء كان خيرا أو شرا ؟ ربما تكون القسوة قد أصبحت ســمة عامة ، أو ربما يكون جنس الانسان قد فقد طبيعته الانسانية واصبح ممعنا فى القوة بدون مشاعر العطف والرقة ، وقد أبدو لهم كحيوان متوحش من العالم القديم أو كمخلوق مرعب مثير للاشمئزاز ينبغى قتله على الفور .

ثم تبينت وجود أشكال ضخمة أخرى .. مبـان ضخمة ذات عمد طويلة وسفح تل تنمو عليه الأشجار كأنه يقترب منى كلما قلت العاصفة ، وانتابنى خوف بالـغ .

***

عدت الى آلة الزمن المقلوبة وحاولت أن أعدلها مرة أخرى . وبينما أنا أفعل ذلك اخترقت اشـعة

الشمس العاصفة الرعدية ، وانزاح المطر الرمادى الغزير واختفى كأنه طيلسان شبح ، ومن فوقى فى سماء الصيف البالغة الزرقة تتحرك نتف من السحب وتتبدد فى العدم ، ورأيت المبانى الضخمة من حولى تقوم واضحة صافية تلتمع فى رطوبة العاصفة الرعدية وتحيط بها غلالة بيضاء بفعل كرات الثلج غير الذائبة التى تعلو حوافها .

احسست كأننى عار فى عالم غريب ، شعرت كأننى طائر صغير يطير فى جو صاف وهو يعلم أن عدوا يطير فوقه على استعداد للانقضاض عليه وقتله ، وتحول خوفى الى جنون ، أخذت إتنفس بمشقة وضغطت على أسنانى ورحت أعالج آلة الزمن مرة اخرى ، تحركت الآلة وانقلبت وتراجعت الى الوراء حيث كانت فارتطمت بذقنى واحدثت فيها جرحا عميقا .

تراجعت واخذت انظر حولى مرة اخرى الى هذا العالم الذى يكمن فى المستقبل البعيد ، وعندئذ رايت فى

شباك دائرى مرتفع فى جدار اقرب منزل مجموعة من الأشخاص مرتدين ملابس يبدو عليها الثراء والنعومة .

لقد راونى بلا شك فقد كانت وجوههم متجهـــة نحـوى .

ثم سمعت أصواتا تقترب منى ورايت رؤوس واكتاف رجال يتقدمون نحوى خــلال أكمات الأشجار بالقرب من التمثال الأبيض الضخم .. واقترب احد هؤلاء الرجــال من الممر الذى اقف فيه انا وآلتى .. كان يبدو مخلوقــا هزيلا طوله حوالى أربعــة اقوام ويرتدى معطفا ارجوانيا يشده بحزام على وســطه ويرتدى ما يشبه الحذاء فى قدميه ولكن رجليه عاريتان الى الركبتين ، ورأســه عار ، عندما لاحظت ذلك ، لاحظت لأول مرة كم يبدو الجو دافئا .

بدا لى الرجل مخلوقا بالغ الجمال والرقــة ، ولكنه ضعيف هش ، وبمجرد رؤيته شعرت بمزيد من الثقة ، ورفعت يدى عن الآلة .

(٥) النـــاس الصغار

ما كادت تمر دقيقة واحدة حتى كنا نقف وجها لوجه ، أنا وذلك المخلوق الصغير الدقيق القادم من المستقبل .. وجدته يقترب منى ويضحك فى وجهى ، دهشت لأنه لم يظهر اية علامة من الخوف ، ثم استدار الى الشخصين اللذين يتبعانه وتحدث اليهما .. بلغة غريبة ناعمة حلوة !

وجاء آخرون ، وسرعان ما كان ثمانية أو عشرة من هؤلاء الناس الصغار يلتفون حولى ، وبدأ أحدهم يحدثنى ، خشيت أن يخرج صـوتى اجش عاليـا

فيثير فيهم الذعر ، ولذا اكتفيت بأن هـزت راسى واشرت الى اذنى وهززت راسى مرة اخرى ، ازداد الرجل اقترابا منى ، وبدت عليه الريبـة لحظة ، ثم لمس يدى ، واحسست بأصـابع صغيرة ناعمة اخرى على ظهرى وكتفى ، يبدو انهم كانوا يريدون أن يتحققوا مما اذا كنت شخصـا حقيقيـا ، ولم يكن فى ذلك ما يخيف ، الواقع انه كانت هناك صفة واضحة فى هؤلاء الناس الصغار هى الرقـة الطفولية مما أعطانى مزيدا من الثقة ، كانوا يبدون صغارا رقيقين بحيث تخيلت أن فى مقدورى أن أبطش بهم جميعـا بسهولة فائقة ، ولكنى بدلا من ذلك زجرتهم بعيدا عندما رايت أياديهم الوردية الصغيرة تتحسس آلة الزمن ، ولحسن الحظ تذكرت ــ قبل أن يفوت الأوان ــ خطرا كنت قد نسيته فاندفعت الى الآلة وفككت مقابضها الصغيرة التى تشغلهـا ، ووضعتهـا فى جيبى ، ثم التفت مرة اخرى لأرى ماذا يمكن أن أصـنع للتفـاهم مع هؤلاء الناس الصغار .



رحت اتفحص فى وجوههم فوجدت شواهد اخرى على رقتهم التى تحاكى رقة الأطفال ، كان شعرهم متموجا يغطى كل رؤوسهم وينسدل حتى ينتهى بقصة مفاجئة على العنق والخدين ، ولا توجد علامة على وجود شعر فى وجوههم ، أما آذانهم فكانت صغيرة جدا وكذلك الأفواه صغيرة تحيط بها شفاه حمراء رقيقة وذقونهم مدببة ، وعيونهم واسعة حنونة . تصورت ان وصولى اليهم يعتبر حدثا هاما مسليا لهم ، ولكن الواقع أن اهتمامهم بذلك الحدث كان اقل من المتوقع.

لم يحاولوا أن يتحدثوا الى ، واكتفوا بالوقوف حولى يبتسمون ويتحدثون الى بعضهم البعض بأصوات كزقزقة العصافير ، فقررت ان إبدأ انا الحديث ، أشرت الى آلة الزمن والى نفسى ، وأخذت افكر لحظة كيف يمكننى أن أعبر عن فكرة الزمن ، ثم اشرت الى الشمس ، وفورا رأيت أحد هذه المخلوقات الصغيرة الجميلة يرتدى ملابس ارجوانية وبيضاء يتابع حركاتى، ولدهشتى قام بتقليد صوت الرعد .

ظللت مدة دقيقة لا اعرف كيف أفكر رغم أن ما يقصده كان واضحا ، وقفز فى ذهنى سؤال : هل هذه المخلوقات حمقى ؟ ها انتم ترون اننى كنت دائما أتوقع أن يكون اناس عام ٨٠٢٫٧٠٠ يسبقوننا كثيرا فى المعرفة والفن وكل شيء ، ثم فجأة سألنى أحدهم سؤالا تبينت منه ان ذهنه لا يتجاوز ذهن طفل عمره خمس سنوات ، فقد تساءل عما اذا كنت قد جئت من الشمس فى عاصفة رعدية ! حتى الآن لم أكن قد كونت حكما عليهم من واقع ملابسهم واطرافهم الضعيفة ووجوههم الرقيقة ، وبعد هذه الصدمة فاضت فى ذهنى خيبة الأمل ، ترى هل انفقت كل هذا الجهد فى بناء آلة الزمن عبثا ؟

***

هززت راسى .. وأشرت الى الشمس وأخرجت صوتا مقلدا الرعد ، فخافوا ، وارتدوا الى الوراء وانحنوا امامى ، ثم تقدم منى أحدهم وهو يضحك حاملا قلادة من الزهر الجميل وضعها حول عنقى

(كانت الزهور من نوع جديد تماما بالنسبة لى)
وتصايح الآخرون صيحات كالموسيقى مبتهجين بهذه
الفكرة .. وسرعان ما جرى الآخرون هنا وهناك
وأخذوا يجمعون الأزهار وهم يتضاحكون ويلقونها
على حتى كدت أن أغطى تماما تحت أكوام الزهور ..
اعتقد لا يمكنكم تصور رقة وجمال هذه الأزهار
التى انتجت بعد آلاف السنين من البستنة الماهرة .

ثم اقترح أحدهم أن يأخذوا لعبتهم الجديدة
ليشاهدها الآخرون فى المبنى المجاور .. وهكذا
اقتادونى تجاه التمثال الحجرى الأبيض ونحو مبنى
ضخم رمادى اللون مصنوع من الحجر المنحوت ..
كان التمثال الحجرى الأبيض يتطلع نحوى بابتسامة
دهشة ، وعندما كنت أسير معهم ضحكت من تصورى
لفكرة القبر والجنس المثقف الذى سوف يعقبنا على
هذه الأرض .

كان المبنى له مدخل هائل وهو نفسه فى غاية
الفخامة ، ولكنى لم اتبينه بدقة بسبب الجمهرة

المتكاثرة من الناس الصغار والبوابة الضخمة أمامى والمكان الغامض من ورائها .. وبينما كنت أسير معهم شاهدت من فوق رؤوسهم كمية من الأشجار الجميلة والأكمات والأزهـار فى حديقة طال اهمالها ، ورأيت عددا من الأزهار البيضاء الغريبة يبلغ عرض الواحدة منها زهاء قدم ، وهى تنمو متناثرة كأنها أزهـار برية بين الأكمات ، ولكنى لم أتفحصها بدقة فى ذلك الوقت .

وكانت آلة الزمن ملقاة مهجورة فوق الحشائش بين أكمـات الزهر .

***

وكانت بوابة المدخل مغطاة بالنقوش ، ولكنى لم أستطع أن أتفحص نقوشها بدقة ، كانت تبدو محطمة بشدة وبالية بفعل الطقس ، وتوافد أناس جدد فى ملابس زاهية استقبلونى عند المدخل ، ودخلنا معا ، كانت ملابسى القبيحة التى جاءت من القرن التاسع عشر تبدو قبيحـة تحت تاج الأزهـار الذى أرتديه ووسط هؤلاء الناس الصغار بملابسهم الملونة الزاهية ،

وهم ملتفون حولى يتحدثون ويتضاحكون ، لقد كان موكبا غريبا بكل معنى الكلمة .

كانت البوابة تؤدى الى قاعة ضخمة ذات لون بنى ، سقفها تغطيه الظلال ، ونوافذها (بعضها مغطى بالزجاج الملون وبعضها بلا زجاج على الاطـلاق) تسمح بمرور ضـوء معتم ، أما الأرضية فمصنوعة من بلاطات ضخمة من مادة بيضـاء فى غاية الصـلابة ، ولكنهـا تآكلت بفعل مرور الناس عليها أزمانا طويلة مما ترك فيها قنوات عميقـة ، وتتناثر فى القاعـة موائد كثيرة مصنوعة من قطع ضخمة من الحجر المصقول ترتفـع بمقدار قدم فوق الأرض ، وعلى هـذه الموائد أكوام من الفاكهة عرفت بعضا منها كالتفاح والبرتقال وغير ذلك من الفواكه التى أعرفها ، ولكنها أكبر بكثير مما رأيته فى المـاضى . أما معظم الفاكهـة فكانت غريبة تماما بالنسـبة لى .

وكانت تتناثر بين هذه الموائد اعداد كبيرة من الوسائد ، جلس عليها الناس الذين قادونى الى هـذا

المكان وأشاروا لى أن أفعل مثلهم ، ثم بدأوا يأكلون الفاكهة ويلقون بالقشور والنوى فى فتحات على جانبى الموائـد ، ففعلت مثلهم بارتيـاح ، لأنى كنت أحس بالعطش والجوع ، وأخذت أجول بناظرى حول القاعة .

***

أهم ما لاحظته فى القاعة حاجتها الى الاصلاح ، فالنوافذ المركبة من مثلثات ومربعات ودوائر زجاجية ملونة ، مكسورة فى أماكن كثيرة ، والستائر المسدلة على الجزء الأدنى من القاعة تحمل طبقة من التراب الكثيف ، ولاحظت أن حافة المـائدة الحجرية القريبة منى مكسورة ، ولكن الانطباع العام عن القاعة انها فى غاية الثراء والجمال .

كان هناك زهاء المـائة شخص يأكلون فى القاعة ، معظمهم يجلسـون بأقصى ما يستطيعون بالقرب منى ، وكانوا يلاحظوننى باهتمـام ، وعيونهم الصغيرة تلمع فوق الفاكهة التى يأكلونها ، وجميعهم يرتدون ملابس من نفس الخامة الحريرية الناعمة القوية .

كانوا لا يأكلون شيئا سوى الفاكهة ، ان هؤلاء الناس فى المستقبل البعيد أكلة فاكهة ، فهم لم يأكلوا غيرها وانا معهم ، وبالرغم من رغبتى الشديدة فى قطعة من اللحم كان على أن اكون من أكلة الفاكهـــة انا أيضا ، والواقع اننى اكتشفت أن جميع الحيوانات كالخيول والأبقار والمــاشية والكلاب قد انقرضت تماما ، كمــا انقرضت فى أيامنا هذه الحيوانات الضخمة التى عاشت فى المــاضى البعيد ، ولكن الفواكه كانت لذيذة للغاية ، ومن أحسنها ثمرة فاكهة تشبه الوردة محاطة بمحارة ذات ثلاثة أوجه .

فى اول الأمر احترت أزاء هذه الفاكهة الغريبــة والأزهار الغريبة التى رأيتها ، ولكنى بدأت أفهم معناها فيما بعد .

* * *

عنـــدما أكلت بما إفيه الكفايـــة قررت أن أقوم بمحاولة لمعرفة اللغة التى يتحدث بها هؤلاء الناس ، فهذا هو الشيء التالى الذى على أن افعله .. وخيل

لى أن الفاكهة هى احسن شىء ابدأ به ، فأمسكت باحداها ورفعتها الى أعلى واخذت آتى بعلامات تدل على رغبتى فى معرفة اسمها ، فى البداية أخذوا يحدقون فى بدهشة وانفجر بعضهم فى ضحك لا يستطيعون التحكم فيه .. واخيرا فهم مخلوق صغير منهم له شعر خفيف مقصدى ، وكرر على مسامعى اسم تلك الثمرة .

واخذوا يتحدثون كثيرا ويشرحون الأمر بالتفصيل لبعضهم البعض ، واثارت محاولاتى الأولى لتقليد اصوات لغتهم حبورا زائدة لديهم ، ولكنى شعرت كما لو كنت مدرسا فى فصل من الأطفال ، وكنت فى غاية الحزم معهم ، وعرفت حوالى عشرين اسما لأشياء مختلفة ، ثم تعلمت كلماتهم التى معناها « هذا » و « تلك » و « هذه » و « هؤلاء » وفعل « أن تأكل » ، ولكن ذلك ثم فى بطء شديد ، اذ شعر هؤلاء الناس الصغار بالضجر وارادوا الخلاص من اسئلتى ، ولذا قررت أن من الأفضل أن أتوقف عن سؤالهم وأن أتركهم هم يعطونى دروسا كلما شاءوا أن

يفعلوا ، وكانت هذه الدروس فى الواقع قصيرة جدا ، اننى لم اقابل فى حياتى اناسا اكسل منهم او اسرع بالاحساس بالتعب .

وسرعان ما اكتشفت صفة غريبة جدا فى هؤلاء الناس هى انهم ينقصهم الاهتمام ، غالبا ما كانوا يقبلون على صائحين بدهشة كالأطفال ولكنهم (كالأطفال أيضا) سرعان ما يتوقفون عن فحصى وينصرفون عنى باحثين عن شىء آخر يلعبون به ، وبعد العشاء ودرس اللغة لاحظت أن جميعهم تقريبا قد انصرفوا عنى .

ومن الغريب اننى أيضا سرعان ما بدات افقد الاهتمام بهؤلاء الناس الصغار ، وبمجرد أن أشبعت جوعى خرجت من الباب الى العالم الذى تنيره الشمس ، ومضيت فى طريقى التقى بالمزيد من رجال المستقبل هؤلاء ، وكانوا يتتبعوننى لمسافة قصيرة ويتحادثون ويتضاحكون من حولى ويبتسمون لى ، ويأتون بعلامات ودية ، ثم يتركوننى افعل ما أريد .

(٦) غــروب البشريــة

عندما خرجت من القاعة الكبيرة كان الليل قد أرخى ســدوله ، ولكن لايزال الشفق الأحمر المنبعث من الشمس الغاربة يضيء المنظر .. فى البداية بدت لى الأشياء مثيرة للحيرة ، كل شيء كان مختلفا تمــام الاختلاف عما أعرفه ، حتى الأزهار .. وكانت البناية الضخمة التى غادرتها تطل على وادى نهر عريض ، ولكن يبدو أن نهر التيمس قد ابتعد بمقدار ميل عن موقعه الحــالى .

قررت أن اتســلق قمة تل يبعــد حوالى ميل

ونصف ، وبينما كنت أمشي رحت أبحث عن أى شيء يمكن أن يفسر لى تلك الحالة الخربة التى آل اليها مصير العالم .. لقد كانت حالة خربة حقا ، وفى طريقى مصعدا فى التل رأيت كومة كبيرة من الأحجار تربطها احزمة معدنية ، كانت الجدران قد تساقطت وتحولت الى كومة من الأحجار ونمت بينها النباتات البرية .. كان من الواضح انها بقايا بناية ضخمة لم استطع أن أخمن غرضها أو استخدامها .

تطلعت حولى فلم اجد اثرا للبيوت الصغيرة ، كان يبدو أن هذا البيت الوحيد تسكنه أسرة واحدة ثم توقفت الحياة فيه ، وكان فى استطاعتى أن ارى مبان كبيرة هنا وهناك ، ولكن نموذج البيت الصغير والكوخ اختفيا تماما .

ثم جاءتنى فكرة اخرى ، نظرت الى الأشخاص الستة الصغار الذين يتبعونى ، وجدت انهم يرتدون نفس نوع الملابس ، ولهم نفس الوجوه الناعمة الخالية من الشعر ، ونفس الأطراف الأنثوية المستديرة (قد

يبدو غريبا اننى لم الحظ ذلك من قبل ، ولكن كل شىء كان يبدو غريبا) .

وكانوا جميعا متشابهين رجالا ونساء لا يوجد فارق بينهم فى الملابس أو البشرة أو السلوك ، وحتى الأطفال كانوا لا يختلفون عن هؤلاء النساء والرجال الصغار ويشبهون آباءهم فى كل شىء .. وخمنت أن اطفال ذلك الزمان متقدمون جدا فى نموهم الجسدى واشياء اخرى كثيرة ، وقد وجدت بعد ذلك أدلة كثيرة تؤكد هذا الظن .

كان هؤلاء الناس يعيشون فى راحة عظيمة وامن تام ، وفى مثل هذه الظروف تصبح الفروق بين الجنسين متشابهة ، فالقوة البدنية للرجل ووحدة الأسرة واختلاف الواجبات بين الرجال والنساء .. هذه الأشياء كانت ضرورية فى عصر القوة والحرب ، ولكن عندما يكون لدى الناس ما يكفيهم ، ولا يهددهم خطر القتل او الموت ، يصبح انجاب الأطفال نقمة لا نعمة ، وحين ينتفى خطر الحرب ويكون الأطفال

سالمين لن تكون هنـــاك حاجـــة لتكوين أسرة قوية ، ولا تعود هناك حاجة لأن تتفرغ المرأة للعناية بالأطفال . ونحن نرى بعض بدايات ذلك فى زمننا الراهن اما فى المستقبل فسـوف يتم الأمر .

ينبغى أن أذكركم بأن ذلك ما كنت أفكر فيه فى ذلك الوقت ، ثم اكتشفت فيما بعد كم كانت أفكارى تلك بعيدة عن الحقيقة .

* * *

بينما كنت افكر فى هذه الأشياء لفت انتبـــاهى مرأى بناء صغير جميل ، تبينت انه عبارة عن بئر تحت قبه صغيرة ، **تعجبت فى نفسى قائلا :**

ــ يا له من أمر غريب أن الآبار لاتزال موجودة . . ومضيت فى طريقى استكشف أشياء أخرى .

لم تعد هناك مبان كبيرة ناحية قمة التل ، وكانت خطواتى واســعة لا يستطيع مجاراتها هؤلاء النـــاس الصغار ، فانفضوا من ورائى وتركونى وحيدا ، شعرت

بالحرية وحب المغامرة ومضيت فى طريقى نحو قمة التل .

عندما بلغت قمة التل وجدت مقعدا مصنوعا من شبه معدن أصفر ومغطى الى منتصفه بالحشائش الناعمة . جلست على المقعد والقيت نظرة على عالمنا القديم فى غروب شمس ذلك اليوم الطويل .. كان منظرا من أحلى وأبدع المناظر التى رايتها فى حياتى ، كانت الشمس قد سقطت خلف الأفق وبدا الغرب كأنه يشتعل بالذهب الذى تتخلله عمدان ارجوانية وحمراء .. وتحتى وادى التيمس حيث يبدو النهر كقطعة من الفولاذ المصقول .. لقد ذكرت لكم شيئا عن القصور الكبيرة التى تتخلل الأشجار بعضها مدمر تماما وبعضها لايزال مسكونا ولم تكن هناك حقول منفصلة ، إفلا وجود للعلامات أو الأسوار التى تحدد الملكية المستقلة ، والأرض كلها تحولت الى حديقة كبيرة .

جلست فى مكانى أحاول أن أجد تفسيرا للأشياء

التى رأيتها . (وقد تبينت بعد ذلك اننى اهتديت الى نصف الحقيقة فقط ، مجرد نظرة الى أحد جانبى الحقيقـة) .

* * *

جعلنى منظر غروب الشـمس أفـكر فى غروب البشرية ، خيل لى اننى التقيت صـدفة بالبشريـة وهى فى حالة انحلال ، ولأول مرة تحققت من النتيجة الغريبة التى تؤدى اليها جهودنـا فى تحقيق التقـدم الاجتماعى الذى نسعى لتحقيقة فى الوقت الحاضر ..
ان هذه الجهود لا تنتج سوى الضعف ، ان الضعف البشرى هو نتيجتها الطبيعية ، فالقوة تتحقق بالحاجة الى القوة ، اما السلامة فتؤدى الى تشجيع الضعف ..
ان الحضارة تجعل شروط الحيـاة ايسر واسـهل ، واستمر عمل الحضارة متصلا الى ان وصلت الحضارة الى أعلى ذراها ، فتوالت الانتصـارات على الطبيعة ، والأشياء التى كانت احلاما أصبحت خططا ، وهـذه الخطط تحولت الى حقائق ، والنتيجة ما أراه الآن !

ان المحافظة على الصحة والاستخدام العلمى للأرض فى الزراعة هما اليوم فى بدايتهما فقط ، ان العلم فى عصرنا لم يهاجم حتى الآن سوى جزء صغير من مجال المرض الانسانى ، ولكن العلم يتقدم فى بطء وثبات ، نحن ندمر فى مزارعنا وحدائقنا عشبا هنا وعشبا هناك .. وقد نزرع عشرين نبتة جديدة نافعة ، ولكننا نترك الجزء الأكبر يكافح ليعيش أو يموت ، اننا نحسن بعض النباتات والحيوانات تدريجيا بعملية الانتخاب الطبيعى ، ولكن ما أقل هذه النباتات والحيوانات المفضلة لدينا ! نحن ننتج تفاحة أحسن ، وبرتقالة بدون بذر ، وزهرة اجمل واكبر ، وسلالة من الأبقار أجود ، اننا نقوم بتحسين هذه الأشياء تدريجيا لأن أهدافنا ليست واضحة ومعرفتنا ضئيلة، والطبيعة تتطور ببطء بين أيدينا غير الماهرة ، ولكن سيأتى اليوم الذى تتحسن فيه هذه الجهود وتتطور، ان العالم كله سيكون أكثر ذكاء وتعليما وتعاونا ، وكل شىء سيتحول بسرعة أكبر واكبر نحو النصر النهائى

على الطبيعة ، ومن النهاية ، بحكم الدقـة والعلم ، سنجعل الحياة النباتية والحيوانية تستجيب استجابة تامة للحاجات الانسانية .

***

كل هذا العمل لابد أنه تم على خير وجه خلال تلك السنوات التى قفزت عبرها آلة الزمن ، أصـبح الجو خاليا من الحشرات السامة ، والأرض خالية من الأعشـاب الضـارة ، وتحسنت الثمار والأزهـار ، واختفت الأمراض ، حتى عملية الفناء أمكن السيطرة عليهـا .

وحدثت هناك أيضا تحسينات اجتماعية كبيرة ، فها أنا أرى الناس يعيشون فى مبان رائعة ويريدون ملابس جميلة ، والى الآن (على الأقل) لم أجـدهم يقومون بأى عمل ، ولم أجد أى علامة على الصراع .. سواء الصراع من أجل الثروة أو الصراع لتحسـين المركز الاجتماعى أو تحقيق الشرف .. واختفت تماما

هذا تحولت بعض الرغبــات التى كانت ضرورية للحياة من قبل الى اســباب للفشل ، فمثلا القوة البدنيــة وحب العراك اصبحا لا يفيدان الآن ، بل ربما أصبحــا يضران الرجل المتحضر .

ولســنوات طويلة لم يعد هنــاك خطر للحــرب أو من الهجوم .. ولا خطر من الوحوش المفترســة ، ولا أمراض تستدعى ان يكون الجسم قويا ليقاومها .. ولا حاجة الى العمل الشاق .. وفى مثل هــذه الحياة يكون الضعيف ملائما كالقوى ، بل فى الحقيقة لم يعد الضعيف ضعيفا ، فالضعفاء يلائمون هــذه الظروف على نحو افضــل لأن الأقوياء يكونون غير مســتقرين وتقصف بهم الطاقة المتأججة التى لا تجد مخرجا .

وهذه المبانى الجميلة كانت الانجاز الأخير لهذه الطاقة التى أصبحت بلا هدف الآن قبل أن يتوقف الانسان عن العمل الجماعى ويخلد للراحة ، انها آخر « صيحات النصر » قبل « السلام الكبير الأخير » ، وهــذا دائمــا هو مصــير الطاقــة فى ظروف الأمن ،

اذ يستخدم الناس كل طاقتهم فى الفن او ممارسة الحب وفى النهاية يأتى التراخى والانهيار .

وفى هذا العصر الذى اطلعت عليه كانت حتى المشاعر الفنية قد بدأت تموت ايضا ، فكل ما بقى لدى الناس من الروح الفنية أن يزينوا انفسهم بالأزهار او يرقصوا او يغنوا فى ضوء الشمس ، بل حتى ذلك سوف يخمد فى النهاية .. ان الألم والضرورة يبقيان الانسان قويا كما يسن الحجر حد السكين ، ولكن ها هو الحجر ينكسر فى النهاية .

ظننت ، وانا اقف هناك فى الظلام المتجمع ، اننى بهذا التفسير البسيط قد فهمت سر هؤلاء الناس الساحرين ، وفكرت ايضا انه ربما كان نجاحهم فى تحديد النسل قد أدى الى انخفاض عددهم عما كان عليه من قبل ، وهذا يُفسر وجود كثير من النباتات الخربة الخالية .

كان تفسيرى بسيطا جدا ، وبدا لى مقنعا للغاية، ولكنه كان فى الواقع خاطئا !

(٧) ضياع آلـة الزمن

وفيما أنا واقف هناك سطع القمر بدرا تاما ، وارسل اشعته الفضية تتدفق فوق العالم ، وانقطع الناس الصغار اللامعون عن الذهاب والمجيء عند سفح التل ، كان الجو باردا فقررت أن أعود لأبحث عن مكان اقضى فيه الليل .

رحت ابحث بنظرى عن البناية التى اعرفهـا ، فوقعت عينى على تمثال ابى الهول الأبيض الشاهق وقد صار أكثر وضوحا فى ضوء القمر الساطع .. وكانت أكمات العشب من حوله تبدو أكثر سوادا فى

الضوء الشاحب ، ويمتد أمامه ممر أرضى صغير ، حققت فى هـذا الممر ، ثم انتابنى شك غريب قلت فى نفسى :

ـ كلا ! هذا ليس هو الممر !

ولكنه كان الممر فعلا ، اذ ان وجه ابى الهول الأبيض يواجهه تماما ، ولكن أين هى آلة الزمن ؟ لقد اختفت تماما !

هل تتصورون شعورى حين تأكدت ان آلـة الزمن قد اختفت فعلا ؟

يمكن ان ابقى هنا عاجزا عن التصرف فى هـذا العالم الغريب الجديد بلا أمل فى العودة ، سيطرت على هذه الفكرة واخذت بخناقى واوقفت تنفسى .. وفى اللحظـة التالية اخذت اجرى كالمجنون هابطـا المنحدر ، وسقطت أثناء الجرى على راسى وجرح وجهى .. لم انتظر كى اوقف النزيف وانما قفزت وواصـلت الجرى والدم الدافىء يتدفق على خـدى وذقنى ، **وظللت اقول فى نفسى وانا اجرى :** « لابد

انهم حركوها قليلا ، لعلهم خبأوها وراء هذه الشجيرات لافساح الطريق » .. ولكنى تأكدت أن هـذه الفكرة محض حماقة وان الآلة اختفت من المكان تماما .

أخذت اتنفس بصعوبة ، ويبدو لى اننى قطعت كل المسافة من قمة الجبل الى الممر الصغير . وهى تبلغ حوالى الميلين — فى عشر دقائق مع اننى لست شابا فتيا ورحت احدث نفسى بصوت مرتفع على هذه الثقة الحمقاء التى جعلتنى اتخلى عن آلة الزمن هكذا ببساطة ، واخذت اصرخ دون أن يجيبنى أحد فلم يكن هنـاك مخلوق واحد يتحرك فى هذا العالم الذى يغمره ضوء القمر .

* * *

وعندما وصلت الى الممر تأكدت من صدق مخاوفى ، فلم يكن هناك اي اثر لآلة الزمن ، وشعرت بالاغماء والبرد وانـا أحدق فى المكان الخـالى بين الأحراش ورحت ادور حول المكان كما لو أن ما أبحث عنه قد يكون مخبوءا فى أحد الأركان ، ثم توقفت فجأة

وانــا اشـد شعرى ، كان ابو الهول ينحنى فوقى على قاعدة البرونزية وهو يبدو ابيض شاحبا فى ضــوء القمر البازغ ، بدا لى كأنه يبتسم ساخرا من يأسى العــاجز .

أخذت اهدىء من روعى بتصور انه ربما يكون الناس الصغار قد خبأوا الآلة فى مكان آمن من أجلى، ولكنى كنت واثقا من انهم لا يملكون الذكاء أو القوة ليفعلوا ذلك ، وهــذا ما أخافنى حقــا ، لقد شعرت انه ربما كانت هناك قوة خفية لا زالت مجهولة لدى هى التى تسببت فى اختفاء آلة الزمن ، ولكنى كنت متأكدا من شيء واحد : ان الآلة لا يمكن أن تكون قد سافرت فى الزمن فقد نزعت مقابض التشغيل منها ، ولا يمكن لأحد أن يحركها بدون هــذه المقابض .. لابد أن تكون الآلة قد تحركت فى المكان فقط .. لابد انها مخبوءة فى مكان ما .. ولكن اين هو ؟

اذكر انه انتابنى لبعض الوقت مس من الجنون، فأخذت اجرى هنا وهنــاك بين الشجيرات تحت ضوء

القمــر ، وقفز حيوان ابيض مذعورا فى الضــوء الشاحب ، حيــوان يشــبه الغزال .. واذكر اننى مضيت اضرب الشجيرات بيدى الاثنتين حتى سال منهمــا الدم .. ثم جريت وانــا اصــيح من فرط الشقاء نحو البناية الحجرية الكبيرة .

* * *

كانت القاعة الكبيرة مظلمــة ساكتــة مهجورة واندفعت اجرى فيها وانــا اتعثر فى الموائد الحجرية ثم اشعلت عود ثقاب وانسللت وراء الستائر المتربة .

وهناك وجدت قاعة كبيرة أخرى مغطاة بالوسائد التى ينام عليها حوالى العشرين او الثلاثين من هؤلاء الناس الصفار ، إعتقد انهم وجدوا منظرى غاية فى الغرابة لأننى اندفعت فجــأة من الظلام أصيح بكلمات غير مفهومة وأشعل عود ثقاب ، وهم قد نسوا كل شىء عن الثقاب !

صحت كالطفل الغاضب : « اين آلة الزمن التى جئت بها ؟ » .. وامسكت واحدا منهم واخذ اهزه ،

ويبدو أن المنظر بدا لهم غاية فى الغرابة كما قلت ، فأخذ البعض منهم يضحكون ولكن الأغلبية بدا عليهم الذعر الشديد .

عندما رأيتهم يقفون حولى حائرين تبينت مدى حماقتى اذ جعلتهم مذعورين منى على هــذا النحو ، فألقيت بعود الكبريت واندفعت خارجا الى قاعــة الطعام الكبيرة ومنها الى الخــارج فى ضوء القمر بعد أن ارتطمت بواحد منهم وكدت أدهســـه ، وسمعت ورائى صيحاتهم المذعورة ووقع أقدامهم الصغيرة وهم يهربون فى كل اتجــاه .

لست أذكر كل ما فعلت بينما القمر يرتفع بطيئا فى الســـماء ، لاشك أن فقدانى غير المتوقع لآلة الزمن أصابنى بالجنون ، شعرت اننى انفصلت نهائيا عن الناس من نوعى ، وأصبحت حيوانا غريبــا فى عالم غريب .. فأخذت أجرى هنا وهناك أصيح وابتهل لله ثم سقطت على الأرض بين الخرائب تحت ضــوء القمر اتخبط فى مخلوقات غريبة ذات ظلال سوداء ،

وفى النهاية رقدت بالقرب من أبى الهول ورحت ابكى فى شقاء هائل .

استغرقنى النوم وعندما تيقظت كان النهار قد جـاء ، ورأيت طائرين صغيرين يتقافزان حولى على الحشـائش .

* * *

جلست فى نسيم الصباح المنعش احاول أن أتذكر ماذا جاء بى الى هنا وما سبب التعاسة والاحساس بالخسارة التى اشعر بها ، وبدأت الأشياء تتضح فى ذهنى ، واصبح فى امكانى أن أقدر ظروفى جيدا فى ضوء النهار الواضح البين ، فتبينت مدى حماقة سلوكى المجنون فىالليلة السابقة ، **واخذت افكر بتعقل على النحو التالى :**

ـ افترض اسوأ الاحتمالات .. افترض ان الآلة قد ضاعت الى الأبد ، ولعلها دمرت ، ينبغى رغم ذلك أن أكون هادئا وأن أتعلم كيف يتصرف هؤلاء الناس ، يجب أن أعرف كيف ضاعت آلة الزمن ،

هل سرقت ام اخذت الى مكان آخر .. وكذلك كيف يمكننى ان احصـــل على المواد والآلات التى قــد أستطيع بها أن أصنع آلة زمن أخرى اذا احتجت الى ذلك ، هــذا هو املى الوحيد ، وهو امل هش كما ترون ولكنه احسن من اليأس ، واخيرا ان العــالم الذى اوجد فيه ليس سيئا جدا بل انه عالم جميــل غــريب .

ولكن ربما كانت الآلة قد ابعدت فقط الى مكان مجهول ويتحتم على أن اتحلى بالهدوء والصبر وأبحث عن مكانها ثم استرجعها بالقوة أو الخديعــة ثم قمت واقفا واخذت انظر حولى باحثا عن مكان يمكننى أن استحم فيه ، . فقــد كنت متعبــا متوترا متسخا ، وجعلنى انتعاش الصباح ارغب فى انتعاش مماثل ، وهكذا توقفت عواطفى المتأججة ، والواقع اننى لم البث ان وجدت نفسى اتعجب من اضطرابى الشــديد فى الليلة السابقة .

اخــذت اتفحص بعنايــة أرض الممر الصغير ، واضعت بعض الوقت فى محــاولة سؤال النــاس

الصغار الذين اقتربوا مني ، ولكنهم جميعا لم يفهموا ما أقصد ، فالبعض كانوا ببساطة اغبيـاء والبعض تصوروا انني امزح وراحوا يضحكون ، واخذت أبذل جهودا شديدة لمنع كفى من الارتطام بوجوههم الجميلة الضـاحكة .

أعطتني الحشـائش مفتاحاً لا بأس به ، فقد وجدت علامة طويلة عليها تمتد من قاعدة أبي الهول الى علامات اقدامي عند حضـوري في اليوم السابق ، حين كنت احـاول ان اعدل الآلة المقلوبة ، كما عثرت على علامات أخرى تدل على جر الآلة تشبه خربشات تحدثها أظافر دب !

لفتت هذه العلامة الطويلة انتباهي الى قاعـدة أبي الهول المصـنوعة من البرونز .. لم تكن مجرد كتلة من المعدن ولكنها كانت مزينة بوفرة ، ولها أطر عميقة محفورة على جوانبها ، فذهبت الى القاعدة البرونزية ودققت عليها ، وجدتها مفرغة من الداخل ، فأخذت افحص جوانبهـا بدقة فوجدت انها ليست



علامات مثل خربشات اظافر الدب

قطعة واحدة ذات أطر ، ولم أجد هناك مقابض ولا فتحات مفاتيح ، ربما كانت الجوانب تفتح من الداخل اذا كانت لها ابواب حقا .. شيء واحد أصبح واضحا فى ذهنى ولم يكلفنى كثيرا من جهد التفكير وهو أن آلة الزمن داخل هذه القاعدة ، أما كيف وصلت الى هناك فمشكلة اخرى .

رايت راسى اثنين من الناس الصغار ، فى رداء برتقالى ، قادمين نحوى تحت شجرة تفاح مزدهرة ،

ابتسمت لهما واشرت لهما أن يقتربا ، فاقتربا بالفعل، وعندئذ اشرت الى القاعدة البرونزية بما يفهم منه اننى اريد أن افتحها ، ولكن ما أن بدات اقوم بهذه الحركات حتى أصبح سلوكهما غريبا جدا ، لا أعرف كيف أصف لكم تعبيرات وجهيهما ، تصور انك تأتي باشارة قبيحة جدا لسيدة رقيقة ، هكذا يكون رد فعلها ، ولم يلبث الشخصان ان اختفيا سريعا كما لو كانا تلقيا أكبر اهانة ممكنة .

بعد ذلك كررت نفس الشيء مع شخص صغير حلو الملامح يرتدى ثيابا بيضاء ، وكانت نفس النتيجة ، ولكن كما تعرفون كنت اريد آلة الزمن فحاولت معه مرة أخرى ، وعندما بدأ يفر كالآخرين احسست بالغضب الشديد ، فأسرعت وراءه فى ثلاث خطوات وامسكت به من ياقة رقبته ، واخذت ادفعه نحو أبى الهول ، وعندئذ رأيت أشد ملامح الذعر مرتسمة على وجهه فتركته يهرب .

ولكنى لم اياس ، اخذت ادق على صفائح البرونز بقبضتى يدى بأشد ما استطيع ، تصورت اننى

أسمع شيئا فى الداخل ، او اذا أردتم الدقة ، تصورت اننى سمعت ما يشبه الضحكة ، ولكن ربما كنت مخطئا ، ثم ذهبت واحضرت قطعة كبيرة من الحجر من شاطىء النهر واخذت ادق بها على قاعدة التمثال حتى احدثت ثقبا فى النقوش انهمر منه تراب الصدأ ، ولابد ان الناس الصغار كانوا يسمعوننى وانا ادق على مسافة ميل من المكان ، فقد رايت مجموعة منهم على المنحدرات البعيدة يراقبوننى خفية ، واخيرا ضقت بالحرارة والتعب ، فجلست اراقب المكان ، ولكنى شعرت بالقلق البالغ ، اذ يمكننى ان اعمل فى مشكلة ما لمدة سنوات ولكنى لا استطيع أن ابقى بلا عمل لمدة اربعة وعشرين ساعة ، ولكن هذه مسألة أخرى .

* * *

نهضت بعد فترة من الوقت واخذت امشى بلا هدف بين الأحراش فى اتجاه التل مرة اخرى .

قلت لنفسي وانـا اسير :

ـ صبرا ! .. اذا اردت ان تحصـل على آلة الزمن مرة اخرى عليك أن تترك أبـا الهول وشأنه ، اذا كانوا يعنون ان يأخذوا منك آلة الزمن الى الأبد فلن يفيدك شيئا ان تحطم هـذه الأبواب ، واذا كانوا لا يقصـدون ذلك فسوف تحصل عليها عندما تسأل عنها ، عليك أن تواجه هذا العالم .. تتعلم طرقه .. تراقبه .. احذر أن تصل الى نتائج متسرعة ، وفى النهاية سوف تعرف معنى كل ذلك !

وفجأة فكرت فى السنوات الطويلة التى قضيتها فى الدراسـة والعمل من أجل أن أصـل الى زمن المستقبل ، والآن كل ما يشغلنى أن أخرج من هنا .. وضحكت ، لقد أوقعت نفسى فى أسـوأ فخ يمكن أن ينصبه انسان ، وضحكت مرة أخرى بصوت عال .

عندما دخلت القصر الكبير بدا لى كأن الناس الصغار يتجنبوننى ، ربما كنت اتخيل ذلك ، أو ربما يكون للأمر علاقة بطرقى على البوابات البرونزيـة

للتمثال ، ولكنى شعرت انهم يتجنبوننى فعلا وحاولت جهدى ان لا ابدو قلقا او أن اتبعهم وخلال يوم أو اثنين عادت العلاقات بيننا ودية كما كانت .

واحرزت تقدما بقدر الامكان فى فهم لغتهم ، يبدو انها كانت لغة فى غاية السهولة : فهى لا تحوى شيئا سوى أسماء الأشياء والأفعال .. ويبدو انها كانت تخلو تماما من المعانى المجردة أو لعلها تحوى القليل جدا منها ، والجملة بسيطة للغاية تتكون من كلمتين اثنتين ، وفشلت فى أن اجعلهم يفهمون أى شىء سوى الأفكار البسيطة ، وقررت أن أتناسى كل شىء عن آلة الزمن ولغز الأبواب البرونزية تحت تمثال ابى الهول .. فى النهاية لاشك أن زيادة المعرفة سوف تعيدنى اليهم بطريقة طبيعية ، ومع ذلك فقد جعلنى شعور معين ـ لاشك انكم تفهمونه ـ أدور فى دائرة أميال قليلة حول نقطة وصولى .

كان العالم يبدو من حولى بهيجا كوادى التيمس الحالى ، ومن كل تل أصعده أرى من حولى مبانى

رائعة تتباين بلا نهاية فى الشكل. والمواد التى بنيت بها ، والمـاء يلتمع هنا وهنـاك كالفضة وخلفها ترتفع الأرض على التلال الزرقاء وتذوب فى هدوء السماء .

***

شيء غريب أثار انتباهى ، هو وجود عدة آبار دائرية بعضها يبدو عميقـا للغاية ، كان أحدهـا فى الطريق الصاعد فى التل الذى صعدته فى أول مجيئى، وكانت حافته من البرونز كالآبار الأخرى وعليه قبة صغيرة تحميه من مياه الأمطـار ، فجلست الى جانب هذه الآبار ورحت أحملق فى الظلام ، لم أر التمـاع المـاء وعندما اشعلت عود ثقاب لم أر أى انعكاس ، ولكنى سمعت صـوتا يتردد فى كل منها .. ث .. ث .. ث .. كضربات آلة كبيرة .. واكتشفت من حركة شعلة الكبريت وجود تيـار مستمر من الهواء يندفع هابطـا فى الآبار ، وألقيت قطعة من الورق فى فوهة أحد الآبـار فوجدتهـا بدلا فى تهبط ببطء تنسحب بسرعة الى الداخل .

وبعد فترة ، بدات اربط بين هــــذه الآبــار والأبراج الطويلة المقامة هنا وهناك ، اذ وجدت فوق كل منها حركة فى الهواء كما يحدث فى يوم حار فوق بقعة من الرمال الساخنة ، وربطت بين هذه الأشياء معا فتوصلت الى احتمال قوى بوجود نوع من نظام التهوية ، يبدو انه نوع ما من التهوية تحت الأرض ، وفى أول الأمر ظننت أن هذه التهوية مرتبطة بالصرف الصحى (الأنابيب التى تحمل المخلفــات بعيــدا) ولكنى كنت مخطئا فى هذا الظن .

***

اعترف اننى لا اكــاد اعرف شــيئا عن نظــام المجارى ، وعن نقل البضــائع من مكان الى مكان والأشياء التى من هذا القبيل اثناء الفترة التى قضيتها فى المستقبل ، ان هناك معلومات كثيرة عن اشــياء من هذا القبيل فى الكتب الروائية التى تتحدث عن عوالم المستقبل ، ولكن تصــور ماذا يمكن ان يقوله رجل قادم لتوه من أواسط افريقيا عن لندن اذا عاد

الى قوتـه ، ماذا تراه يعرف عن صرفهـا الصحى ، وتليفوناتها ، وبرقياتها ، ونظامها البريدى ؟ حتى اذا عرف .. كيف يجعل أصـــدقاءه يفهمون ؟ مع أن الفارق بين عقل هذا الرجل وعقولنا ضئيل ، ولكن الفارق بين عقلنا وعقول رجال المستقبل الذى يبعدون عنا آلاف وآلاف السنين كبير للغاية ، اننى أعرف الكثير عن أشياء غير مرئية ساعدتنى أن أكون مرتاحا ولكنى لا أعرف شيئا عن طريقة عملها الخفى .

فمثــلا فيما يتعـلق بالدفن لم أر قبورا على الاطلاق .. ربما كانت وراء نطاق تجوالى .

مسألة أخرى اثارت حيرتى أكثر : اننى لم أر مسنا أو مريضا .

استطيع أن أقرر أن كثيرا من أفكارى عن هؤلاء الناس الصغار كانت خاطئة ، دعونى أخبركم شيئا عن الصعوبات التى واجهتنى ، مثلا القصـور الكبيرة التى رأيتها كانت مخصصـة للمعيشة فقط ، بهـا

قاعات مطاعم كبيرة وقاعات للنوم ، ولكن ليس فيها آلات من أى نوع ، ولكن هؤلاء الناس يرتدون ملابس حسنة ومن الضرورى بلاشــك تغييرها مع الوقت كما أن احذيتهم قطع معدنية معقدة ، من الذى صنع هذه الأشياء ؟ من المؤكد أن الناس الصغار ليســت لديهم أية قدرة على عمل اى شىء لأنفسهم ، انهم يقضون كل وقتهم فى اللهو البرىء ، أو الســباحة فى النهر ، أو ممارسة الحب ، وفى التهام الفاكهة والنوم، لا ادرى حقيقة كيف تسير الأمور .

* * *

مرة اخرى اعود الى آلة الزمن : لابد ان هناك شيئا (أجهله) جرها الى القاعدة المجوفة لتمثــال أبى الهول ، لمــاذا ؟ لا أستطيع أن أتصــور ســببا لذلك ، ثم هذه الآبار التى لا تحوى ماء ، وهــذه الأعمدة التى تلفظ الهواء الساخن . أشــعر اننى نسيت شيئا .. أشعر .. كيف يمكننى ان اعبر ؟ !

افترض انه وقعت فى يدك قطعة من الورق مكتوبة عليها عبارات بأسلوب انجليزى ممتاز ، وممزوج بها كلمات غير مفهومة اطلاقا ؟ هـذا ما شعرت به فى اليوم الثالث لزيارتى لهـذا العـالم الذى يقـع فى عـام ٨٠٢٫٧٠١ !

(٨) «وينـا» الصـغيرة

سوف أحكى لكم الآن عن صـداقة تمكنت من عقدها فى ذلك العالم الغريب .. فقد حدث أننى كنت أشاهد هؤلاء الناس الصغار وهم يسبحون ، ورأيت واحدة منهم يصيبها شـد عضلى ويجرفهـا التيار ، لم يحـاول أحد من مواطنيها ـ لفرط ضعفهم الغريب ـ ان يقوم بأدنى جهد لانقاذها وهى تغرق أمام أعينهم .. وعندما تحققت من ذلك خلعت ملابسى سريعا ونزلت الى المـاء ثم غطست الى قذر من العمق وأمسكت بالمخلوقة المسكينة ، واخرجتها سـالمة الى البر ، ثم رحت أدلك أطرافها ولم أتركها الا بعد أن

اطمأننت على انها صارت بخير ، ولما كانت فكرتى سيئة للغاية عن هؤلاء الناس الصغار لذلك لم أتوقع منها اى عرفان بالجميل ، ولكنى كنت مخطئا فى ظنى هــذا .

حدث ذلك فى الصــباح ، وبعد الظهر التقيت بهذه المرأة الصغيرة أثناء عودتى الى مقرى من جولة طويلة فى الخــارج ، رأيتها تسـتقبلنى بصيحــات الابتهــاج وتقدم لى اكليــلا كبيرا من الزهر كان من الواضح انها صنعته خصيصا من أجلى . أثار هــذا العمل مخيلتى ، وربما أثار فى شعورا بالحزن ، ولكنى حاولت قدر استطاعتى ان أبدو مسرورا بالهدية ، وسرعان ما كنا نجلس سويا فى كوخ حجرى صــغير نتحدث سويا بالابتسامات المتبادلة ، لقد أثرت فى صداقة هــذه المخلوقــة تماما كما تتأثر بصــداقة طفل ، ورحنا نتبادل الأزهار ، وقبلت يدى ، وقبلت يديها ، ثم حاولت أن أكلمها ، وعرفت ان اسمها « وينــا » وكانت هــذه بداية صداقة غريبة دامت

أسـبوعا ثم انتهت على النحو الذى سـأخبركم به فيما بعد .

* * *

كانت طفلة بكل معنى الكلمـة ، كانت تريد أن تكون معى دائما ، وتحـاول أن تتبعنى فى أى مكان اذهب اليه ، وعندما أتركها واذهب بعيدا فى بعض شانى يخيل لى أن قلبها يتمزق ولا تفتأ تصيح ورائى وتنادينى ، ولكن كان على أن اكتشف شئون ذلك العالم ، فما جئت الى المستقبل ــ هكذا قلت لنفسى ــ من أجل أنشغل بقصة حب صغيرة .

كان حزنها عندما أتركها عظيما ، ولكنها كانت فى نفس الوقت مصـدر سلوى كبيرة لى ، واعتقدت أن مجرد العاطفة الطفولية هى ما تربطها بى ، ولم يتضح لى الا متأخرا جدا مدى الألم الذى سببته لها عندما تركتها ولم أفهم أيضا الا متأخرا جدا ماذا كانت تعنيه بالنسبة لى ، تلك اللعبة الصغيرة جعلتنى اشعر بعودتى الى أبى الهول الأبيض كأنى عدت الى

منزلى ، وكنت أتطلع لرؤية قدها الصغير بملابسها البيضاء والذهبية بمجرد أن أعود من التلال ، وبسببها أيضا عرفت ان الخوف لم يزايل العالم بعد ، كانت تبدو شجاعة فقط فى ضوء النهار .

وكانت تثق بى ثقة عمياء ، وذات مرة ، بحماقة منى ، نظرت اليها مهددا فكان رد فعلها ببساطة أن اغرقت فى الضحك ، ولكنها كانت تخشى الظلال والأشياء السوداء ، فالظلام كان أشد شئ يخفيها ، واكتشفت عندئذ ان هؤلاء الناس الصغار يتجمعون فى المنازل الكبيرة عند حلول الليل ، وينامون فى جماعات، واشد ما يبث فيهم الفزع أن تدخل عليهم بلا ضوء ، ولم ار مطلقا واحدا منهم فى الخارج بعد حلول الظلام أو نائما وحده داخل المنزل ، ومع ذلك كنت اغبى من أن أفهم درس هذا الخوف ، وبالرغم من حزن « وينا » مضيت انام بعيدا عن رفقة الآخرين .

كان ذلك يزعجها بشدة ، ولكن فى النهاية انتصرت محبتها الغريبة لى ، وصرت انام معهم وادعها

تضع راسها على ذراعى .. ولكن حديثى عنها على هذا النحو يجعل قصتى تهرب منى .

حدث فى الليلة السابقة على انقاذها من الغرق اننى استيقظت قرب الفجر ، كنت قلقا فى نومى أحلم حلما مزعجا باننى اغرق وان حيوانات البحر تمس وجهى باطرافهــا البــاردة الناعمــــة ، فاستيقظت منزعجــا وخيل لى ان حيوانا رمادى اللون يندفــع خارجا من الغرفة ، حاولت أن أعود الى النوم ولكنى شعرت بالقلق وعدم الراحة ، كان الوقت رماديا معتما حيث تبدو الأشــياء كأنها تزحف خارجة من الظلام ، وحيث يبدو كل شىء عديم اللون ومحددا ولكنــه غير حقيقى ، فقمت من رقــدتى ونزلت الى القاعة الكبرى ثم خرجت الى كومة الأحجار أمام القصر ، وتصــورت اذا استيقظت أن فى مقدورى أن اشاهد بزوغ الشمس .

كان القمر قد جنح الى الغروب ويمتزج ضوؤه الخافت بضوء الفجر الذابل فيما يشبه الغبش الذى

تتحرك فيه الأشباح ، وكانت الشجيرات فاحمة السواد والأرض رمادية صماء والسماء بلا لون ولا بهجة ، وعلى اعلى التل خيل لى اننى أرى أشباحا، ثلاث مرات رايت أشكالا بيضاء تتحرك على المنحدر .. مرتان تخيلت اننى ارى مخلوقا يشبه القرد الأبيض يجرى بسرعة على التل ، ومرة شاهدت بالقرب من الأحجار الخربة اثنين من هذه المخلوقات يحملان ما يشبه الجسم المظلم ، وتحركا بسرعة ، ولم اعرف ما حدث لهما ، يبدو انهما اختفيا بين الشجيرات ، وكان الفجر لا يزال غير بين ، فشككت افيما أرى .

وعندما بدا الجزء الشرقى من السماء يزداد نصوعا وضوء النهار ينبلج ، دققت النظر ، فلم أر اثرا لهذه الاشباح البيضاء ، قلت فى نفسى : « لعلها كانت أشباحا » ، وظللت افكر فى هذه الأشكال طول الصباح ، حتى قابلت « وينا » فطردتهم تماما من ذهنى ، ولكنى ربطت بينهم على نحو غير محدد وبين الحيوان الأبيض الذى رأيته عندما كنت

أبحث عن آلة الزمن ، لقد كانت « وينــا » موضوعا محببا للتفكير .

أعتقد أننى ذكرت من قبل أن الجو فى هــذا العصر الذهبى اكثر حرارة من جونا ، ولا أستطيع أن أفسر ذلك ، ربما لأن الشمس سوف تزداد سخونة أو ان الأرض ســوف تزداد اقترابا من الشمس ، اننا نعتقد أن الشمس سوف تميل الى البرودة فى المستقبل ، ولكن الناس ينسون أن الكواكب ســوف تسقط فى النهاية واحدة بعد الأخرى فى حضن الأم التى جاءت منها ، وعندما يحدث ذلك سوف تزداد بالنسبة لها حرارة الشمس ، وقد تكون احــدى الكواكب الأقرب الى الشمس من أرضنا قد لقيت هذا المصير ، مهما كان السبب فالمؤكد ان الشمس ستكون اكثر حرارة مما نعرف .

ذات صباح شديد الحرارة ـ أعتقد انه اليوم الرابع ـ كنت أحاول الاحتمــاء من الحرارة فى كومة كبيرة من الأحجار بالقرب من القصر الضخم الذى

أنام فيه وآكل ، عندما صعدت فوق هذه الكومة من الأحجار وجدت ممرا ضيقا نهايته ونوافذه الجانبية مغلقة ، فدخلت فيه أتلمس طريقى لأن التحول من الضوء الساطع الى الظلام الدامس جعل بقعا من الألوان تعوم من حولى ، وفجأة توقفت ، اذ رأيت زوجين من الأعين تراقبانى فى الظلام .



ورأيت مخلوقا يشبه القرد الابيض

اجتاحنى الخوف الطبيعى القديم من الوحوش المفترسة ، ولكنى خشيت أن انفلت هاربا ، وفكرت فى الأمان المطلق الذى يبدو أن الانسان يحيا فيه الآن كما تذكرت الخوف الوهمى من الظلام ، وهكذا تغلبت على مخاوفى وتقدمت خطوة الى الأمام وانا اتكلم .. أعترف أن صوتى كان خشنا مضطربا ، ومددت يدى فلمست شيئا ناعما ، وعلى الفور قفزت العينان جانبا ورأيت شيئا أبيض ينفلت هاربا ، فالتفت وقد سقط قلبى فى أعماقى لأرى شكلا غريبا يشبه القرد الصغير رأسه مدلاة يجرى عبر المساحة المضيئة من خلفى ثم اصطدم بحجر وسقط وفى لحظة اختفى فى الظل الأسود تحت ركام من الأحجار .

* * *

لا استطيع بالطبع ان اصف هذا المخلوق تماما ، ففكرتى عنه ليست كاملة ، ولكنه كان كتلة بيضاء له عينان غريبتان كبيرتان محمرتان ، وثمة شعر أبيض خفيف يتدلى على ظهره ، ولكنه كما قلت هرب مسرعا فلم أستطيع أن أراه بوضوح ،

ولا أستطيع ان أقول ما اذا كان يجرى على اربعة اقدام أو ما اذا كانت يداه الأماميتان متدليتين الى الأرض ، بعد لحظة انتظار تبعته الى كومة الأحجار ، لم اتمكن من رؤيته أول الأمر ولكن بعد قليل اقتربت من احدى الفتحات الدائرية التي تشبه فوهة البئر ، كما اخبرتكم عنها من قبل ، كانت نصف مغلقة بسبب سقوط عمود عليها ، وجاءتنى فكرة مفاجئة : ترى هل اختفى ذلك الشيء داخل البئر ؟

اشعلت عود ثقاب ، ونظرت الى أسفل ، رايت مخلوقا صغيرا ابيض يتحرك فى الداخل وعيناه الكبيرتان اللامعتان تحدقان فى ثبات وهو يتراجع ، شعرت تجاهه بالقرف ، فقد كان يشبه عنكبوتا بشريا وهو يهبط فى البئر ، ولأول مرة رايت الآن عددا من المقابض المعدنية للأيدى تشبه السلم ، وعندئذ لسعت شعلة الكبريت أصابعى وسقطت من يدى ، وعندما أشعلت عود ثقاب آخر كان المخلوق قد اختفى .

لا اعرف كم من الوقت جلست أحدق فى البئر ،

ولكن لابد أن يكون انقضى بعض الوقت قبل أن أستطيع اقناع نفسي بان هـذا الشيء الذى رأيتـه ينتمى الى الجنس البشرى ، ولم البث ان توصلت تدريجيا الى الحقيقة التى كانت غائبـة عنى ! لابد ان الانسان الذى نعرفه لم يبق كما هو ، وانما تغير وتحول الى نوعين مختلفين من الحيوان : النوع الطفولى الرقيق الذىء عرفته فى العالم العلوى والذى هو نسـل مباشر للانسان الحـالى ، وهذا الشيء الشاحب المرعب الذى يحيا فى الظلام هو ايضا من احفادنا .

***

فكرت فى الأعمـدة التى تخيلت أنها وسـائل للتهوية ، ترى ما هى فى حقيقـة الأمر ؟ وترى ماذا يفعل هـذا المخلوق تحت هذه الأعمدة ؟ وما علاقته بالجنس الهادىء الكسـول الجميل الذى يحيا فوق سـطح الأرض ؟ وما الذى هنـاك فى اسـفل هـذه البئر ؟ وجلست على حافة البئر اقول لنفسى ليس هناك ما اخشاه ، يجب أن انزل فى البئر وابحث عن

احابات للأسئلة التى تحيرنى ، ولكنى فى الواقع كنت شديد الخوف .

وبينما كنت فى حالتى المترددة هــذه ، جــاء اثنان من جنس العــالم العلوى الجميل يمرحــان فى ضوء النهار ويبحثان عن مكان يختبئان فيه ، كان الذكر يحــاول أن يغازل الأنثى وينثر عليها الورود وهو يجرى وراءها .

بدا عليهمــا الغم عنــدما وجــدانى ، وذراعى مستندة على العمود المقلوب وانا أحدق فى البئر ، يبدو انه كان من المتعارف عليه ان من ســوء الخلق أن ينظر احد فى هــذه الآبار ، وعندما أشرت الى البئر وحاولت أن أسألهما عنه مستخدما ما اعرفــة من لغتهم بدا عليهمــا مزيد من الغم وتحــولا عنى ، ولكنهما ابتهجا بالكبريت الذى اشعله ، فأشــعلت بعض الأعــواد لأزيد من انبساطهما ، وحاولت أن أسألهما مرة اخرى عن البئر ، ولكنى فشلت ايضا فتركتهما وشأنهما وفكرت أن أذهب الى « وينــا » لأرى ما يمكن أن اعرفه منها .



كان يشبه عنكبوتا بشريا

بدأت تخميناتي وأفكاري تأخذ منحى آخر .. ان لدى الآن بعض الفكرة عن معنى هـذه الآبار ، وعن ابراج التهوية ، وعن لغز الأشباح ، واعرف معنى البوابات البرونزية ومصير آلة الزمن !

ثم جاءتنى فـكرة غامضـة تتساءل ترى كيف

يعيش هؤلاء الناس الصغار ؟ .. من الذى يمونهم بالملابس والمأكولات التى يحتاجون اليها ؟ .. لابد انه هذا الجنس البشرى الآخر الذى يحيا تحت الأرض ، هذا الجنس الذى يتميز بالمظهر الشاحب الشائع فى معظم الحيوانات التى تعيش فى الظلام ، كالسمك الأبيض فى كهوف كنتوكى مثلا ، وفى هذه العيون الكبيرة الشائعة فى الحيوانات الليلية كالقطط ، واخيرا فانهم يجفلون من ضوء الشمس ويسارعون بالاختفاء فى الظلام ، وكذلك طريقة تخبئة رؤوسهم فى الضوء .. هذه كلها من علامات الحيوان الذى يعيش فى الظلام .

***

لاشك اذن أن الأرض تحت قدمى بها سراديب ضخمة يحيا فيها هذا الجنس الجديد ، وأن وجود مداخن التهوية والآبار على طول منحدرات التل — وفى كل مكان فى الواقع ما عدا وادى النهر — ليشهد بمدى كثرة هذه الدهاليز وانتشارها ، وفى هذا

العالم السفلى يجرى صنع الأشياء اللازمة لراحة سكان الجنس الذى يحيا فى ضوء النهار .

وبدا لى ان الاتساع التدريجى فى الشقة الاجتماعية الحالية بين الراسماليين والعمال هو مفتاح الأمر برمته ، ان ثمة ميلا حتى فى اليوم الراهن الى استخدام مساحة ما تحت الأرض لتأدية بعض الأغراض غير المبهرة للحضارة ، فمثلا هناك سكة حديد تحت الأرض فى لندن ، وهناك مطاعم ومصانع تحت الأرض لا تفتأ تزيد وتتضاعف ، وتداعى الى ذهنى انه لابد أن يكون هذا الاتجاه قد زاد حتى فقدت الصناعة تدريجيا حقها فى البقاء تحت السماء ، لقد غاصت أعمق فى مصانع اكبر اكبر تحت الأرض واصبح العمال يقضون مزيدا من الوقت هناك الى ان .. ! انه حتى الآن نرى العامل البريطانى فى الحى الشرقى بلندن يعيش فى مثل هذه الظروف ويكاد يكون منقطعا تماما عن السطح الطبيعى للأرض.

ومن الناحية الأخرى هناك ميل الأثرياء الى الابقاء على أنفسهم منفصلين عن الفقراء ، ولهذا

السبب إغلقت مســاحات كبيرة من ســطح الأرض لحسابهم الخــاص .. ان نصف الريف البريطــانى الجميل مغلق تماما فى وجه الغرباء ، وهــذا يجعل الاتصال بين الطبقة والطبقة أكثر صعوبة بصفــة متزايدة ، حقيقــة يوجــد فى الوقت الحــالى بعض الزواج المختلط (أى التزاوج بين الأثرياء والفقراء) الذى يؤخر انقسام الانسان الى حيوانين منفصلين ، ولكن هذا ما حدث فى النهاية : لقد انقسم الانســان ، فوق الأرض يعيش من يملكون غارقين فى المبــهج والراحة والجمال ، وتحت الأرض يعيش العمال وقد اعتادوا تدريجيا ظروف عملهم وأصبحوا ســعداء فى معيشتهم تماما كسعادة سكان ظهر الأرض بمعيشتهم .

* * *

ـــه الحضارة المزدوجة وصلت منذ زمن بعيد الى نقطة الذروة وهى الآن تسقط فى الانحــلال ، فالأمن المطلق الذى يحيا فيه ســكان سطح الأرض جعلهم يتعرضون للنقص فى الحجم والقوة والذكاء ،

كما رايت بوضـوح كاف بالفعل ، أما ما حدث لسكان تحت الأرض فلا أستطيع أن أجزم به ، ولكن ما رايته فى « المورلوك » ـ وهو الاسم الذى يطلق على هذه الكائنـات ـ يجعلنى لا اشـك فى أن التغير الذى تعرضوا له كان أكبر مما تعرض له جنس « الايلوا » الجميل الذى عرفته .

ثم هاجمتنى الشـكوك المتعبـة ، لمـاذا أخذ « المورلوك » آلة الزمن ؟ اذ كنت أشـعر انهم هم الذين أخذوها بكل تأكيد ، ولمـاذا لا يستطيع جنس « الايلوا » اذا كان هو السـيد حقـا ان يسترد لى الآلة ؟ وما السبب فى انهم يشعرون بهـذا الخوف المرعب من الظلام ؟

حاولت أن أسـأل « وينـا » عن سكان هـذا العالم السفلى ، ولكنى أصبت بخيبة أمل مرة أخرى ، ففى البداية لم تفهم ماذا أعنى بأسئلتى ، وفيما بعد رفضت الرد على أى سؤال ، وتصرفت كما لو أن هذا الموضـوع غير محتمل على الاطـلاق ، وعندما

ضغطت عليها كى تتحدث انفجرت فى البكاء ، وهذه
هى الدموع الوحيدة التى رايتها فى العصر الذهبى ،
وعندما رايت الدموع تنهال على وجنتيها توقفت عن
ازعاجها بموضـــوع « المورلوك » واصبح همى الوحيد
ان أجفف الدموع من عينى « وينـــا » ، وسرعـــان
ما عادت الى الابتســـام ، وصفقت بيديها ، وأنـــا
أشعل من اجلها عود ثقاب !

(٩) فى العـــالم السفلى

مر يومان قبل أن أستطيع ان أواصل اكتشافى الجديد ، كنت أشـــعر بكراهية خاصة لتلك الأجساد الشاحبة ، كان لونهم يشبه لون الأشـــياء الميتة التى تحفظ داخل السوائل فى المتاحف ، كما تنبعث منهم برودة شـــديدة تثير القشـــعريرة فيمن يلمســـهم ، ربما تكون كراهيتى لهم ترجع الى حد كبير الى تأثير جنس « الايلوا » الذين بـــدأت الآن إفهم ســـبب امتعاضهم من جنس « المورلوك » .

فى الليلة التالية أصابنى السهاد فلم أســتطع

النوم جيدا ، كان يملؤنى الشك ، وشعرت بخوف مجهول لم أجد له سببا محددا ، أذكر اننى زحفت بهدوء الى القاعة الكبيرة التى ينام فيها الناس الصغار. فى ضوء القمر ، فى تلك الليلة كانت « وينا » بينهم ، فقد كنت اشعر بمزيد من الأمن فى وجودهم.

خلال أيام قليلة سيدخل القمر مرحلة المحاق ، وتصير الليالى أكثر اظلاما ، وعندئذ سيكثر ظهور هذه المخلوقات البشعة من أسفل ، وكنت متأكدا اننى لن استطيع استعادة آلة الزمن ما لم اقتحم هذه الأماكن الغامضة تحت الأرض ، ومع ذلك لم استطع مواجهة اللغز ، لو كان معى رفيق لكان الأمر قد اختلف ، ولكنى كنت وحيدا بشكل مرعب ، ومجرد التفكير فى الهبوط فى الظلام داخل البئر زادنى رعبا .. لا ادرى ما اذا كنتم تفهمون مشاعرى ، ولكنى لم أكن اشعر بذرة من الاطمئنان !

ودفعنى القلق الى توسيع دائرة جولاتى فى الخارج .. وذات يوم أخذت الجنوب الغربى فى اتجاه

الأرض العالية التى نسميها الآن « غابة كومب » ، ولاحظت عن بعـد فى مـكان ما نسميـــه الآن حى « بانستيد » بناء ضخما أخضر اللون مختلفا فى مظهره عن كل ما رايت من مبان .. فهو أكبر من كل القصور أو الخرائب التى عرفتهـا وله واجهـة على الطراز الصينى ، وخيل لى أن اختلافه فى المظهر يدل على اختلاف فى استعماله ايضا ، واردت ان أدخله لأرى ما يكون ، ولكن الوقت كان متأخرا فقررت ان أؤجل المغامرة الى الغد ، وعدت الى « وينـا » الصـغيرة لاتمتع بترحيبها وحبها .

***

فى الصباح التالى ، شعرت بوضوح أن اهتمامى بالقصر الصينى الأخضر لم يكن حقيقة الا وسـيلة لخداع الذات لكى اتحاشى القيام بالمغامرة الأخرى التى أخشاها .. وقررت أن أنزل الى العالم السفلى بلا ابطاء ، وشرعت فى بدء المغامرة فى ساعة مبكرة من الصباح ، وكانت « وينـا » الصغيرة تجرى الى جانبى

وترقص حتى وصلنا الى البئر ، ولكنها عندما رأتنى انحنى على فوهة البئر وأنظر فى داخله بدا عليها الهم الشديد .

قلت لها وأنا أقبلها : « وداعا .. يا « وينا » الصغيرة » .. ثم وضعتها على الأرض وبدأت أبحث داخل البئر عن مقابض الصعود ، فى أول الأمر اخذت « وينا » تراقبنى فى دهشة ، ثم أطلقت صيحة عالية واندفعت نحوى ، وراحت تجذبنى بيديها الصغيرين ، اعتقد أن مقاومتها زادتنى اصرارا على المضى فيما أنا فيه فأزحتها ، بشىء من الخشونة ربما ، واخذت اهبط فى فوهة البئر ، ورأيت وجهها فوقى ينم عن القلق ، فابتسمت لها لأدلها على أنى بخير ، ثم التفت الى أسفل باحثا عن المقابض التى تعيننى على الهبوط .

كان على إن أهبط زهاء مائتى ياردة مستخدما المقابض المعدنية المثبتة على الجوانب ، كان من الواضح أن هذه المقابض صنعت لتلبية حاجة مخلوق أصغر وأخف منى ، لذا كان على أن اهبط بسرعة

ودون توقف ، وحدث أن التوى أحد هـذه المقابض فجـأة تحت نقلى ركدت أهوى فى الفراغ المظـلم من تحتى ، وقضيت دقيقة حرجة معلقا بيد واحدة ؛ وبعد هذه التجربـة لم أجرؤ على الانتظـار لحظة اخرى لالتقاط انفاسى ، ورغم أن ذراعى وظهرى كانت تؤلمنى بشـدة .. واصـلت الهبوط فى المنحـدر بأسرع ما استطيع ، ونظرت الى أعلى فرأيت فتحة البئر تشبه دائرة صغيرة زرقاء تبدو فيها نجمة كما تبدو براس « وينـا » الصغيرة كنقطة سـوداء عند الحافة ، ومن تحتى تصاعد ضجيج آلة أكثر واكثر ، وفيما عـدا تلك الدائرة الصغيرة من فوقى لم يكن هنـاك سـوى الظلام الدامس ، وعندما نظرت الى اعلى مرة أخرى كانت « وينـا » قد اختفت .

* * *

كنت أعانى ألمـا شديدا وشعورا بعدم الراحة .. وفكرت لحظة أن أصعد إلى أعلي البئر مرة اخرى واترك العالم السفلى وشأنه ، ولكنى واصلت الهبوط حتى قبل إن اطرد هـذه الفكرة نهائيا من ذهنى ،

واخيرا رأيت فتحة فى الحـائط يكتنفها الظلام على مسافـة قدم الى يمينى ، فرميت بنفسى ناحيتهـا لأجدها فتحـة سرداب افقى أستطيع أن أتمدد فيه وارتاح ، وما اشد ما كانت حاجتى الى الراحـة ! وكانت ذراعاى ناشـفتين وتؤلمـانني بشدة ، وكنت أرتجف خوفا من السقوط ، والى جـانب ذلك كاد الظلام الدامس أن يفسد عينى ، والجو ملىء بضجيج الآلات التى تضخ الهواء الى اسفل .

لا اعرف كم من الوقت ظللت ممددا فى السرداب الى أن انتفضت بلمسة يد باردة على وجهى ، فقمت من مرقدى فى الظلام وأخرجت علبة الكبريت واشعلت عود ثقاب ، رأيت ثلاثة مخلوقات بيض يشبهون تماما المخلوق الذى شاهـدته فوق الأرض بين الخرائب ، تراجعوا بسرعة أمام الشعلة ، ولأنهم كانوا يعيشـون فى الظـلام الدامس لذلك كانت عيونهم كبيرة جـدا وحساسة للغاية مثل عيون الأسماك التى تعيش فى أعماق البحر ، لاشـك أنهم كانوا يروننى جيدا فى الظلام ويبدو انهم لم يكونوا يخشون شيئا منى ما عدا

الضــوء ، فبمجرد أن اشعلت عود الثقاب فروا هاربين واختبئوا فى الدهــاليز والأنابيب المظلمة وظللت أرى عيونهم تلمع بطريقة غريبــة وهم يراقبوننى .

حاولت أن أناديهم واتحدث اليهم ، ولكن لغتهم كانت مختلفة عن لغة سكان ما فوق الأرض .

***

واصلت طريقى فى السرداب ، واصوات الآلات تزداد ارتفاعا ، وسرعان ما اختفت الجدران ووجدت نفسى فى مكان كبير مفتوح ، فاشعلت عود ثقاب آخر ، فتبين لى أننى دخلت الى كهف كبير مقوس يمتد فى الظلام الى ابعد ما يكتشفه الضــوء ، وكل ما رأيتــه فيه لا يتجاوز ما يمكن أن يراه شخص على شـــعلة عود من ثقاب .

تراءت أمامى فى الظلام هيــاكل ضخمــة كالآلات الكبيرة تلقى وراءها ظلالا هائلة ســوداء ، كان المكان شديد الحرارة مختنق الهواء .. وفى الجو رائحــة

ضعيفة من الدم الطازج ، وفى منتصف الممر مائدة بيضاء عليها ما يشبه وجبة غذاء ، كان « المورلوك » على أية حال من آكلى اللحوم ، ودهشت حينئذ .. ترى ما هو ذلك الحيوان الضخم الذى يمكن أن يقدم هذا الفخذ الأحمر الكبير ؟ .. كان الجو فى غاية الغرابة : الرائحة القوية ، الظلال الضخمة التى لامعنى لها ، الأشكال المعتمة التى تختبىء فى الظلال انتظارا لعودة الظلام من جديد ! وبعد قليل احترق عود الكبريت وسقط على الأرض مشكلا بقعة حمراء فى الظلام .

اننى أتعجب الآن كيف لم أستعد لهذه التجربة استعدادا كافيا ، عندما بدأت العمل فى آلة الزمن كنت أتصور أن رجال المستقبل متقدمون عنا بالتأكيد فى كل الأشياء ، ولذا جئت بلا أسلحة وبلا أدوية وبدون شىء أدخنه ، حتى الكبريت لم يكن كافيا ، آه لو كانت معى آلة تصوير ! كان فى امكانى أن التقط صورة للعالم السفلى فى ثانية واحدة ثم أفحصها فيما بعد على مهلى ، ولكن ها أنا أقف هناك وليس

لدى من الأسلحة أو القوى سوى ما منحته لى الطبيعة : الأيدى ، والأرجل ، والأسنان ، وأربعة عيدان كبريت فقط لاتزال باقية !

* * *

كنت خائفا أن أتقدم بين كل هذه الآلات فى الظلام ، واكتشفت أن مخزونى من الكبريت قد تضاءل .. لم أكن حريصا حتى هذه اللحظة على المحافظة على الكبريت ، فاتلفت نصف علبة الكبريت فى ادهاش الناس الصغار سكان العالم العلوى ، والآن لدى اربعة أعواد فقط . وفيما انا واقف فى الظلام أحسست بيد تتحسسنى .. اصابع باردة تتلمس وجهى ، ورائحة كريهة تملأ انفى ، وتخيلت اننى سمعت أنفاس مجموعة من هذه المخلوقات الصغيرة المخيفة حولى ، وأحسست أن علبة الكبريت تسحب برقة من يدى وان ايادى أخرى تتلمسنى من الخلف !

احساسى بهذه المخلوقات غير المرئية تتلمسنى اثار فى نفسى الاشمئزاز ، فصرخت فيهم بأقصى

ما استطيع ، فتراجعوا ، ثم شعرت انهم يقتربون مرة أخرى ، واخذوا يلمسونني بجراة أكبر وهم يتبادلون همسات غريبة فيما بينهم ، ارتجفت ، ثم صرخت فيهم مرة أخرى .. ولكنهم لم ينزعجوا هذه المرة وراحوا يطلقون ضحكات غريبة وهم ملتفون حولى .. اعترف انني كنت خائفا الى درجة مرعبة .

قررت أن أشعل عود ثقاب آخر وأهرب فى حماية ضوئه ، إفعلت ذلك ، وأشعلت به قطعة من الورق وجدتها فى جيبى ، وتراجعت الى السرداب الضيق ولكن ما كدت أدخل السرداب حتى انطفأت الشعلة وسمعت فى الظلام همسات « المورلوك » كأنها حفيف الريح بين أوراق الشجر ، ووقع أقدامهم الصغيرة كالمطر ، وهم يسرعون ورائى .

بعد دقيقة واحدة أحسست بعدة أيد تمسك بى ، لم يكن هناك شك فى أنهم يحاولون جذبى الى الوراء ، فأشعلت عود ثقاب آخر ولوحت به فى وجوههم .. ولا يمكنكم أن تتصوروا مدى الرعب

الذى بدا على وجوههم ، تلك الوجوه الشاحبة بلا ذقون ولها أهداب طويلة فوق أعين رمادية قرمزية وهم يحملقون فى عمى وخوف ، ولكنى لم انتظر طويلا واخذت اتراجع ثم أشعلت عود الكبريت الثالث ، وعندما اوشك أن ينطفىء كنت قد وصلت الى فتحة الحائط .

* * *

رحت اتحسس الجدران بحثا عن القابض ، وبينما كنت أفعل ذلك أمسك « المورلوك » قدمى من الخلف وراحوا يجذبوننى الى الوراء ، أشعلت عود الثقاب الأخير وتوهج ضوؤه على الفور ، واستطعت أن اضع يدى على مقابض الصعود وخلصت رجلى من أيدى « المورلوك » بالركل ، ورحت أصعد البئر سريعا وهم متكومون تحتى ينظرون نحوى ، فيما عدا مخلوق صغير منهم ظل يتعقبنى مسافة ما ، وكاد يحصل على حذائى كجائزة .

بدا لى هذا الصعود كأنه بلا نهاية ، وفى آخر

عشرين أو ثلاثين قدما احسست بألم شديد يعتصرني، ووجدت صعوبة بالغة في الامساك بالمقابض ، وخلال الياردات القليلة الأخيرة كنت أقاوم كيلا يصيبني الاغماء ، وغام شعوري أكثر من مرة ، وكدت أسقط ولكني أخيرا تمكنت من بلوغ فوهة البئر وخرجت من بين الحطام الى ضوء الشمس المبهر وهناك ارتميت على وجهي .. وبدت لي رائحة الأرض حلوة نقية ، واحسست بصديقتي « وينا » وهي تقبل يدي وأذني وأصوات آخرين من جنس « الايلوا » ، ثم فقدت الشعور بعض الوقت .

الآن ، بدا لي انني في وضع أسوأ مما كنت ، كانت مشكلتي الوحيدة حتى الآن في استعادة آلة الزمن هي بساطة هذا الجنس الطفولي وقوة أخرى مجهولة ، وظننت انني لو استطعت فقط أن افهم ما هي هذه القوة المجهولة لاستطعت التغلب عليها . ولكن كان هناك شيء جديد تماما في هؤلاء «المورلوك».. شيء غير انساني وشرير ، انني أكرههم ! .. وحتى الآن كنت أشعر كأني رجل وقع في فخ ، ولكني أشعر

الآن كأنى وحش فى فخ ينتظر عدوا سوف ينقض عليه فى أى لحظة .

هــذا العدو الذى كنت أخشـــاه . هو القمر الجديد !

* * *

كانت « وينـــا » هى التى وضعت هذه الفكرة عن القمر الجديد فى رأسى بملاحظاتها عن الليـــالى المظلمة ، لم يكن من الصعب الآن أن أخمن معنى مجىء الليـــالى المظلمـــة .. كان القمر يتضـــاءل ، وكل يوم يتزايد الظلام .. اننى أفهم الآن سبب الخوف الذى يعترى الناس الصغار سكان العالم العلوى من الظلام ، وعجبت أى أشياء شريرة يمكن أن يفعلها « المورلوك » مع القمر الجـــديد .

لاشك أن سكان العالم العلوى كانوا يوما جنسا نبيلا متميزا ، وكان « المورلوك » هم خدمهم الآليون ، ولكن هـــذا ما كان منذ زمن بعيـــد ، ثم وصـــل

الجنسان الآن الى علاقة جديدة تماما ، تحلل جنس « الايلوا » الى مجرد شيء جميل لا نفع فيه ، ولكنهم ظلوا يمتلكون سطح الأرض لأن « المورلوك » كانوا قد عاشـوا تحت الأرض زمنـا طويلا بحيث اصبحوا لا يطيقون الحياة فوق الأرض ، واستمر « المورلوك » يصـنعون « للايـلوا » ملابسـهم وأدواتهـم التى يحتاجونها ـ ربما لأنهم تعودوا على خدمتهم كما يتعود الحصـان على جر العربة حتى فى حالة عدم وجود السائق ـ ولكن من الواضح أن هـذه القاعدة القديمة تغيرت ، واقتربت سـاعة القصـاص من الجنس المرفه .. منذ آلاف الأجيـال المـاضية استطاع لانسـان أن يطرد أخاه الانسـان من مجال الراحـة الشمس الساطعة ، والآن ها هو الأخ يعود وقد تغير تماما ! فبدأوا يعرفون معنى الخوف ، وفجأة قفزت فى مخيلتى ذكرى اللحم الذى رأيته فى العالم السـفلى وحاولت أن أتذكر شكله ، كان لدى شعور باننى رأيته من قبل ولكنى لا أعرف ما هو حتى ذلك الوقت .

والآن لايزال الناس الصغار فى خوفهم الغامض

من جنس « المورلوك » ..ولكن وضعى أنا مختلف ، لقد جئت من هـذا العصر الذى نعيش فيه ، حيث لا نخـاف شيئا ولا نخشى الغموض . اننى أسـتطيع على الأقل أن أدافع عن نفسى ، وقررت بلا ابطـاء أن أصنع لنفسى أسلحة وأجد مكانا آمنـا أنام فيه ، لقد شعرت اننى لم يعد فى امكانى النوم مرة أخرى حتى يكون فراشى آمنا من « المورلوك » .. فقد كنت أشعر بالرعب من الطريقة التى استخدموها فى فحصى !

(١٠) ليـــلة فى الغابــة

بعد الظهيرة اخذت اتجول فى وادى نهر التيمس باحثا عن مكان ملائم انام فيه ولكنى لم أجد ، ان كل المبانى والأشجار يمكن « للمورلوك » أن يتسلقوها بسهولة ، ولم البث ان تذكرت القصر الأخضر بأبراجه الطويلة وجدرانه المصقولة وفكرت انه المكان المناسب لقضاء الليل ، وفى المساء حملت « وينــا » على كتفى كالطفل وصعدت التلال فى اتجاه الجنوب الغربى ، تصورت ان المسافة لا تعدو سبعة أو ثمانية أميــال ولكنها كانت فى الحقيقة حوالى ثمانية عشر ميلا ، فقد سبق ان رأيت القصر لأول مرة فى طقس ممطر حيث

تبدو المسافات اقصر مما هى عليه فى الواقع ، والآن تظهر المسافة على حقيقتها طويلة جدا .. وفى نفس الوقت كان ثمـة مسمار فى حـذائى يؤلمنى بشـدة ويجعلنى اسير بصعوبة ، ولذا كانت الشمس قد غربت عندما طالعنى منظـر القصر امـام خلفيـة السمـاء الشاحبة .

كانت « وينـا » مسرورة للغايـة حين بـدات احملهـا ، ولكنهـا لم تلبث أن جعلتنى انزلهـا على الأرض واخذت تجرى الى جانبى وتذهب بين حين وآخر لتجمع الأزهار وتضعها فى جيوبى ، كانت جيوبى تحيرها .. ترى ما هو الغرض منهـا ؟ .. واخيرا توصـلت الى انها لابد أن تكون نوعـا غير مألوف من الآنية لوضع الزهور ، واستخدمتها فعلا لهذا الغرض، آه .. لقد تذكرت ، عندما كنت أغير معطفى عثرت على هـذا .

وتوقف مسافر الزمن عن الحديث ، ووضع يده فى جيبـه ، وأخرج وردتين ذابلتين تشبهان الزنابق

البيضـــاء الطويلة وضعهما على المـــائدة ، ومضى فى قصـــته .

* * *

كانت سكينة المساء تزحف على العـــالم ونحن نسير فوق التل فى اتجـــاه « ويمبلدون » وشـــعرت « وينـــا » بالتعب وأرادت ان نعود الى المنزل الحجرى، ولكنى اشرت الى الأبراج البعيـــدة للقصر الأخضر ، وجعلتها تفهم اننا ذاهبون الى هنـــاك لنجد مكانا آمنا يزيل مخاوفها .

اتعرفون هـــذا الصـــمت العظيم الذى يكتنف الأشياء قبل هبوط الظلام ؟ حتى الريح يبدو انهـــا توقفت عن تخلل الأشـــجار ، وبالنســـبة لى يجعلنى اقتراب المساء اترقب شيئا مجهولا ، كانت الســـماء صافية ، بعيدة ، خالية الا من شرائط طويلة قليلة من السحاب فى اتجـــاه الغرب ، فى مثل هذا الجو المظلم الهادىء تصبح حواسى مرهفة للغاية ، فشعرت كاننى احس بتجويف الأرض تحت قدمى ، بل واكاد ارى

من خـلالها « المورلوك » وهم يذهبون هنا وهنـاك كالنمل فى انتظار أن يسود الظلام ، وشعرت كأنهم ينظرون الى فى عداء ، كما لو كانت هناك حرب بينى وبينهم .. ترى لمـاذا أخذوا آلة الزمن ؟

مضينا فى الطريق الهـادىء الذى يكتنفه ظلام الليل ، وبدأت زرقة السماء تتحول الى اللون الداكن ويلتمع فيهـا نجم بعد نجم ، كمـا اسـودت الأرض والأشجار ، وزادت مخاوف « وينـا » وقلقها فرفعتها بين ذراعى واخذت اتحدث اليها ، ثم ازداد الظـلام فطوقت عنقى بذراعيها واغلقت عينيها وضغطت وجهها بشدة فى كتفى ، وهبطنا على منحدر طويل الى الوادى، واعترضنى جـدول ماء ضحل فعبرته وذهبت الى الجانب المقابل من الوادى مارا بعدد من منازل النوم وتمثال كبير فقد رأسه . حتى الآن لم أكن قد رأيت أثرا « للمورلوك » ، ولكن الليل كان لا يزال مبكرا ولابد أنهم ينتظرون الساعات المظلمة قبل ظهور القمر ليبدأوا نشاطهم .



من فوق قمة التل التالى شاهدت غابة كثيفة تمتد عريضة سوداء امامى ، لم أستطع أن ارى نهاية لها سواء الى اليمين أو الشمال ، وكنت أشعر بالتعب وقدمى تؤلمانى بشدة ، فأنزلت « وينا » بعناية من فوق كتفى ، وجلست على الحشائش .. لم يعد فى مقدورى أن ارى القصر الأخضر ، وفقدت المقدرة على معرفة الاتجاه ، فأخذت أتطلع الى كثافة الغابة وأفكر : ترى ماذا تخفيه .. ان هذه الفروع الكثيفة تحجب بالتأكيد مرأى النجوم .

كنت متعبا جدا بعد أحداث ذلك اليوم ، وقررت أن أمضى الليلة فوق التل المفتوح ولا اغامر باقتحام الغابة أثناء الظلام .

سررت اذ وجدت « وينا » نائمة ، فدثرتها بعناية فى معطفى وجلست الى جانبها انتظر طلوع القمر ، كان جانب التل هادئا مهجورا ولكن كان فى استطاعتى أن ارى داخل الغابة السوداء حركة أشياء حية بين الحين والآخر ، وفوقى كانت النجوم تلتمع لأن الليلة

كانت صافية للغاية ، واحسست بنوع من الصداقة المريحة ازاء ضوء النجوم .

كانت نجوم السماء خلال هذه الآلاف من السنين قد غيرت من مجموعاتها القديمة وبدا ترتيبها غير مألوف لى ، ولكن « طريق التبانة » (الذى يشبه شريطا أبيض عبر السماء) لايزال كما هو كخط من ذرات النجوم .

احسست بالنظر الى هذه النجوم أن متاعبى صغيرة جدا ، اخذت أفكر فى بعدها الشاهق وفى مرورها البطىء من الماضى المجهول الى المستقبل المجهول ، وفكرت فى آلاف السنين التى مرت ، وخلال ذلك اختفت كل النشاطات وكل الأمم واللغات والآداب والامال ، بل وذكرى الانسان كما اعرفه من الذاكرة ، وبدلا من كل ذلك لم تعد هناك سوى هذه المخلوقات الصغيرة التى نست ماضيها المجيد ، وتلك المخلوقات البشعة التى اصابتنى بالرعب .

ثم فكرت فى الخوف الشـــديد الذى نشب بين هذين الجنسين من الانسـان ، ولأول مرة جاءتنى فكرة واضحة عما قد يكون ذلك اللحم الذى رأيتـــه ، ولكن الفكرة كانت مرعبة ! ونظرت الى « وينـــا » الصغيرة. النائمة بجوارى كان وجهها ابيض يلمع تحت النجوم ، وعلى الفور طردت الفكرة من ذهنى .

* * *

خـــلال تلك الليلة الطويلة حاولت أن اطرد من ذهنى مسألة « المورلوك » بقدر ما أستطيع ، وأمضيت ساعات الليل أدرس النجوم ، وظلت الســـماء واضحة تماما الا من نتفة ضباب هنا وهناك ، لاشك أن دهمنى النوم عدة مرات ، وأخيرا ظهر بصيص من الضـــوء الحافت فى السماء الشرقية كأنه انعكاس لنار لا لون لها ، وبان القمر نحيفا شاحبا لأنه يقترب من المحـــاق ومن ورائه انبثق ضوء الفجر ، شاحبا فى أول الأمر ، ثم أخذ يزداد احمرارا ودفئا .

لم يقترب منا أحد من « المورلوك » .. وفى الحقيقة لم أر منهم أحدا على التل فى تلك الليلة ، وأحسست بالثقة فى ضوء اليوم الجديد فبدت لى مخاوفى بغير اساس ، وقمت واقفا لأجد قدمى متورمة وتؤلمنى بشدة ، فجلست مرة اخرى وخلعت حذائى والقيت به بعيدا .

أيقظت « وينا » وهبطنا الى الغابة ، وقد صارت الآن خضراء سارة بعد ان كانت سوداء مخيفة ، وجمعنا بعض الفاكهة لنأكلها كافطار ، ولم نلبث أن قابلنا اناسا صغارا آخرين يضحكون ويرقصون فى ضوء الشمس ، كما لو لم يكن هناك شىء يسمى الليل ، وعندئذ فكرت مرة أخرى فى اللحم الذى رأيته ، وتأكدت الآن ماذا كان فى الواقع ، وشعرت بالشفقة فى أعماق قلبى على هذا الجدول الضعيف الأخير الذى تخلف عن فيضان البشرية الهائل .

من الواضح انه فى زمن ما من انهيار البشرية الطويل أخذ الطعام ينقص لدى « المورلوك » .. ومن

المحتمل أن يكونوا قد عاشوا زمنا على الفئران وأمثالها من الحيوانات ، ان الانسان حتى فى زمننا هذا أصبح أقل اعتناء فى اختيار طعامه من أى قرد ، ونفوره من اللحم البشرى ليس متأصلا فى ذهنه ، فما بالك باحفاده هؤلاء غير الانسانيين ؟ وحاولت أن انظر الى الموضوع بروح علمية ، لماذا اتعب نفسى ؟.. ان هؤلاء « الايلوا » مجرد ماشية يربيها هؤلاء « المورلوك » من أجل أن يستخدموها كطعام ، كما نستخدم نحن الماشية والغنم .. وها هى « وينا » ترقص الى جانبى !

ثم حاولت أن أنظر الى الأمر كعقوبة على الأنانية البشرية ، لقد عاش أجداد الناس الصغار فى يسر على حساب اخوانهم فى البشرية ، والآن انقلبت الآية ويعيش هؤلاء الاخوان عليهم ، وحاولت أن أجعل نفسى تشعر بالاحتقار لنبالتهم اليائسة التى دخلت مرحلة الكساد ، ولكنى لم أستطع ، فمهما كان التدهور الذى الم بذكائهم لايزال جنس « الايلوا » يحتفظ بالكثير

من الشكل الانسانى ، فشعرت بالأسف من اجلهم ، بل شعرت اننى شخصيا إشاركهم فى عارهم .

فى ذلك الوقت لم تكن لدى فكرة واضحـه عن خططى ، كان أول مطلب لى أن أجد مكانا آمنا اختبىء فيه واصنع لنفسى بعض الأسلحة من المعدن أو الأحجار .. هذه هى الضرورة الأولية .

وفى المرتبة الثانية على أن اعثر على طريقة لاشعال النار وبذلك احصل على السلاح الماضى الذى يرعب « المورلوك » .. وبعد ذلك على أن أجد طريقة لكسر أبواب القاعدة البرونزية تحت تمثال أبى الهول الأبيض . كانت لدى عقيدة فى اننى اذا اقتحمت هذه الأبواب حاملا شعلة مضيئة معى سوف أعثر على آلة الزمن وأهرب بها فورا ، فمن المؤكد ان « المورلوك » ليسوا من القوة بحيث يستطيعون تحريكها بعيدا ، وقررت أن آخذ « وينا » معى الى عصرنا الحاضر .. كانت هذه الأفكار تعتمل فى رأسى وأنا اشق طريقى نحو البناء الذى تصورت أن يكون منزلنا الخاص .

(١١) القصــر الأخضــر

اقتربنا من القصر الأخضر ســاعة الظهر ، كان كان قصرا مهجورا متهدما ، سقط معظم الزجـاج من نوافذه ولم يتبق ســوى القليل ، كما سقطت أجزاء خضراء كبيرة من واجهته المعدنيــة ، وعلى واجهــة القصر وجدت كتابة بحروف غير معروفة ، فكرت ، لحمــاقتى ، أن « وينــا » يمــكن أن تســاعدنى فى قراءتهــا ، ولكنى تبينت أن مجرد فكرة القراءة لم تطف بخيالها ، مع أنها كانت تبدو لى ، فى مخيلتى ، أكثر اقترابا من البشرية مما هى عليــه فى الواقع ، ولكن ربما يرجع ذلك الى أن محبتها كانت انسانية .

كان الباب مفتوحا على اتساعه ومخلوعا ، وفى الداخل غرفة متسعة طويلة تنيرها النوافذ الكثيرة على الجانبين ، لأول وهلة تخيلت أنه متحف ، أما أرضيته فكانت مغطاة بالتراب الكثيف وثمة مجموعات غريبة من أشياء مختلفة مغطاة بالتراب الذى يبدو عليها كالملاءة الثقيلة ، ثم رأيت فى منتصف القاعة ما بدا لى بوضوح وكأنه الجزء الأسفل من هيكل عظمى ضخم ، وتبينت أنه هيكل « ميجاثريوم » (من مخلوقات ما قبل التاريخ قبل ظهور الانسان بآلاف السنين) .. وقد سقطت الى جانبه الرأس والعظام العليا فى التراب الكثيف وبلى الهيكل بأكمله نتيجة فيما يبدو لتساقط ماء المطر عليه من فجوة فى السقف ، وعلى مقربة منه وجدت هيكلا ضخما آخر « للبرونتوسوروس » (من حيوانات ما قبل التاريخ) .. اذن كانت فكرتى عن ان المكان متحف صحيحة ، وذهبت الى جانب الحائط فوجدت رفافا مغطاة بالتراب الكثيف وعليها قوارير زجاجية من النوع المألوف فى زمننا ، ويبدو

انها كانت محكمة الاغلاق لأن محتوياتها محفوظة فى حالة جيدة .

لاشك اننا فى جزء من المتحف يختص بالتاريخ المبكر للحياة القديمة على الأرض ، هنا وهناك رأيت اشياء أخذت من القوارير وحطمت الى اجزاء صغيرة مربوطة بقطعة من الخيط ، علامة على أن الناس الصغار كانوا يلعبون هنا ، كما أن بعض القوارير اختفت وتركت مكانها شاغرا ـ لابد أن « المورلوك » هم الذين أخذوها . وجعل التراب الكثيف وقع إقدامنا غير مسموع ، وأخذت « وينا » بيدى وراحت تحملق فى وهى تقف الى جانبى .

ونظرا لضخامة القصر تأكدت انه يحوى غرفا وممرات كثيرة لا هذه القاعة وحدها ، ربما كانت غرفا تحوى أشياء تاريخية ، بل ربما مكتبة ، وهذا ما بدا لى محببا أكثر من هذه القاعة الكبيرة بعظامها القديمة ، ثم وجدت ممرا قصيرا امامى يبدو انه كان مخصصا للمعادن ، ووجدت فيه كتلة من « السلفور »

(الكبريت) جعلني أفكر في البارود .. ولكني لم أجد « سالتبيتر » (السلفور والسالتبيتر يستخدمان في صناعة المفرقعات) .. ومع ذلك علق « السلفور » في ذهني وجعلني أفكر في أشـياء كثيرة ولكن لمـا كنت غير متخصص في المعادن لذلك فقد غادرت هـذا الممر سريعا ودخلت الى قاعة أخرى متهدمة توازى القاعة الأولى .

هـذه القاعة الثانية كانت مخصصـة للتاريخ الطبيعي (النباتات والطيور والحيوانات ... الخ) ولكن كل ما فيها مضى عليه زمن طويل حتى صـار غير معروف ، اذ لم أجد سـوى بعض البقايا الجافة السوداء التي كانت في الأصـل حيوانات ، وكذلك بعض الأتربة ذات اللون البني التي كانت في الأصـل نباتات ، هذا كل شيء !

ثم دخلنا قاعة أخرى هائلة الحجم ولكن الضوء فيها ضعيف ، كانت أرضية هـذه القاعـة تنحـدر بزاوية بسيطة من نهايتها حيث دخلت ، وكانت هناك

مصابيح زجاجية بيضـاء مدلاة من السقف اغلبهـا مهشمم ومكسور ، وعلى الجانبين آلات ضخمة علاها الصدأ وكثير منها مكسور ، ولكن بعضها لا يزال سليما بدرجة طيبـة ، انتم تعرفون ضعفى ازاء الآلات ، واردت ان ابقى بين هذه الأشياء .. لم يكن فى مقدورى الا ان أخمن من بعيد : ترى ما هى هذه الآلات ؟ ..

وتصورت أننى اذا استطعت ان أجد اجابة لما يحيرنى فقد تصبح فى حوزتى قوى تمكننى من مواجهة « المورلوك » .

***

فجأة اقتربت « وينـا » الى جوارى ، فعلت ذلك بطريقة مفاجئة ادهشتنى ، ولو لم تكن قد فعلت ذلك لما كنت قد لاحظت ان ارضية القاعة تنحدر بشدة ، كان الطرف الذى دخلت منه إفوق مستوى الأرض ، ومضاء بالنوافذ الضيقة من الجانبين ، وكلما مضيت قدما تبتعد النوافذ عن الأرض حتى تصبح

مجرد فتحة صغيرة ينبعث منها خيط ضئيل من ضوء النهـار .. وكنت أمضى ببطء منحـدرا أفكر فى امر الآلات .. وبلغ من اهتمامى بها اننى لم الحظ التضاؤل التدريجى فى الضـوء ، ثم رأيت القاعة تنغمس أخيرا فى الظلام الدامس .

نظرت حولى لأجد أن التراب صار أقل سمكا وثمة علامات اقدام صغيرة تبدو مرتسمة على السطح الترابى المجـاور للظلام ، ذهب تفكيرى على الفور الى « المورلوك » .. وشعرت اننى أبدد وقتى فى فحص هذه الآلات ، وتذكرت أن المسـاء يقترب ولازلت لا أجد سلاحا ولا مكانا آمنا اختبىء فيه ولا وسيلة لاشـعال النار . وفجـأة تناهت الى من اسفل حيث الظـلام الدامس دمدمة غريبـة ، نفس الأصوات الغريبة التى سمعتها فى البئر .

إمسكت بيد « وينـا » ، ثم جاءتنى فكرة مفاجئة فتركت يدها على الفور ، واتجهت الى آلة قريبـة ينبعث منها قضيب طويل من الحديد ، وصعدت على

الآلة وامسكت قطعة الحديد المستطيلة بكلتا يدى واتكأت عليها بكل قوتى ..وفجأة وجدت « وينا » التى تقف وحيدة فى وسط الممر ، نجهش بالبكاء ، وبعد دقيقة من المحاولة انكسر القضيب الحديدى وعدت الى « وينا » حاملا فى يدى سلاحا اعتقد انه كاف لتهشيم رأس أى « مورلوك » .. كنت فى غاية الشوق لأن أقتل أحد هؤلاء « المورلوك » .

حسنا ، أمسكت سلاحى فى يد و « وينا » فى اليد الأخرى وخرجت من القاعة المنحدرة الى قاعة أخرى لا تقل اتساعا منها . ولأول وهلة تخيلت اننى فى كنيسة تابعة للجيش معلقة فيها الأعلام ، ولكنى لم ألبث أن تبينت حقيقة هذه الهلاهيل الكالحة المتدلية على الجدران ، كانت بقايا مهترئة لكتب أتى عليها البلى ومزقها تمزيقا ، لو كنت أشتغل بالكتابة كان لابد أن أفكر فى عدم جدوى أى أمل فى الشهرة ولكن الفكرة التى صدمتنى أكثر هى مدى الجهد الهائل الذى بذل فى هذا العمل الذى أصبح الآن مجرد أوراق مهترئة !

ثم صعدت على درج عريض ومعى « وينـا » .. ودخلنا فيما يشبه قاعة للكيمياء ، فراودنى الأمل فى أن أعثر على مكتشفات نافعة ، كانت القاعة سليمة الى حد كبير الا فى مكان واحد تساقط فيه السقف ، وأخذت أفتش بشغف فى كل صندوق سليم ، وأخيرا عثرت فى أحد الصناديق المحكمة الاغلاق على علبة كبريت ، جربت عودا منها ، فوجدتها سليمة تماما لم تمسها الرطوبة ، فالتفت الى « وينـا » **وقلت لها بلغتها** : « ارقصى » فالآن عثرت على السلاح الفعال الذى يرعب المخلوقات الكريهة التى نخافها ، ورحت فى هذا المتحف القديم المهجور وعلى السجادة الترابية الناعمة ولسرور « وينـا » وابتهاجها العظيم ، أرقص وأصفر نغمة بهيجة بفمى !

لقد كان من الغريب جدا ولحسن حظى الشديد أن تنجو هـذه العلبة من الكبريت من غوائل الزمن كل هـذه السنوات الطويلة ، ثم لدهشتى مرة أخرى عثرت على مـادة أخرى غير متوقعـة ، هى مـادة « الكمفور » (وهى مادة بيضاء تشبه الزجـاج لها

رائحة قوية لحماية الملابس من الحشرات) .. وجدتها فى آنيــة مغلقة ، تصـورت أولا انها مادة الشمع ، ولكنى عندما كسرت الآنيــة الزجاجية شممت رائحة « الكمفور » القوية التى لا يمكن أن يخطئها الشم .. وكنت على وشـك أن ألقى بها بعيدا حين تذكرت أن « الكمفور » يشتعل ايضا بلهب قوى ، انه فى الواقع شمع ممتاز ، فوضعتها فى جيبى ، ولكنى لم أعثر فى الصالة على مفرقعـات ولا على أى وسـيلة لتحطيم الأبواب البرونزية ، لايزال القضيب الحديدى هو أمضى سلاح عثرت عليه ، ثم غادرت القاعة وأنا أشعر بمزيد من السعادة !

***

لن استطيع ان أحكى لكم كل ما حدث فى ذلك اليوم الطويل ، ولكنى أذكر أننى دخلت قاعة طويلة بها أسلحة علاها الصـدأ ، وتحيرت هل أظل محتفظا بالقضيب الحديدى أم اسـتبدل به فأسا أو سـيفا مما أرى أمامى ، فانا لا استطيع أن احتفظ بالاثنين معا ، ثم فكرت فى ان القضيب الحديدى سـيكون أكثر

نفعا فى التعامل مع الأبواب البرونزية . كان أمامى عدد من الأسلحة ، بنادق ومسدسات ، معظمها علاها الصدأ ولكن بعضها مازال جديدا وفى حالة طيبة ، غير أن الطلقات أو الرصاصات التى تستخدم فيها تحولت الى تراب ، ورأيت فى أحد الأركان آثار حريق وتدمير ، ربما يكون قد حدث انفجار فى بعض هذه الأشياء .

ومع اقتراب المساء قل اهتمامى بالمتحف ، فمضيت من قاعة الى قاعة بين التراب والصمت والدمار . وفى أحد الأماكن رأيتنى فجأة بالقرب من نموذج يشبه اللغم ثم اكتشفت بالصدفة البحتة أصبعين من الديناميت فى علبة مغلقة **فصحت قائلا :** « أخيرا عثرت على ما أريد » .. وكسرت العلبة بفرح بالغ ، ثم جاءنى الشك ، فذهبت الى غرفة جانبية صغيرة وأجريت التجربة ، شعرت بخيبة أمل كبرى وأنا انتظر خمسا وعشرة دقيقة أن يحدث الانفجار ، ولكنه لم يحدث ، ربما لم تكن هذه المادة ديناميت حقا ، آه لو كانت ديناميت لكنت قد سارعت بنسف الأبواب البرونزية لتمثال ابى

الهول ، ولكان قد تجدد أملى فى العثور على آلـة الزمن .

اخيرا خرجنـا الى فنـاء صغير مفتوح داخل القصر ، كانت تنمو فيه الحشـائش وثلاث اشـجار افاكهة ، فجلسنا لنأخـذ قدرا من الراحـة وننعش انفسنا ، ومع اقتراب الغروب رحت افكر فى موقفى .. ان الليل يزحف علينـا ، ولم أجد بعد مكانا آمنـا أنام فيه ، ولكن ذلك لم يعد يقلقنى كثيرا الآن ، لقد اصبح عندى السلاح الذى يرهبه « المورلوك » بشدة : الكبريت ، ولدى « الكمفور » فى جيبى ، كذلك ، اذا احتجت لشعلة كبيرة . وبدا لى ان احسن شىء يمكن ان تفعله أن نقضى الليل فى العراء تحمينـا شعلة من النار .. وفى الصباح ستكون هناك مهمة استرجاع آلة الزمن ، حقا ليس معى سوى قطعة الحديد ولكن ربما تكون الأبواب البرونزية أضعف مما اتصـور ، فأنا لم أجرب كسرها بعد ، ربما خوفا مما قد يكون مختبئا وراءها .. ربما تكون غير سميكة جدا وآمل ان يكون القضيب الحديدى ملائمـا للتعامل معها .

(١٢) معركة مع ((المورلوك))

غادرنا القصر الأخضر بينما كانت الشمس لاتزال فوق الأفق ، وكنت مصمما على ان اصل الى ابى الهول الأبيض، فى ساعة مبكرة من صباح اليوم التالى ، وهذا يقتضى ان اخترق الغابة التى اوقفتنى فى رحلة الحضور قبل غروب الشمس ، وأن اشعل نارا وننام فى حماية ضوئها ، ولذا اخذت اجمع فى مسيرى الفروع والحشائش الجافة ، وسرعان ما وجدت ذراعى تنوءان بحملهما من هذه النباتات ، مما جعل تقدمنا ابطأ مما كنت اتوقع ، علاوة على أن « وينا » كانت متعبة . وبدات انا أعانى من رغبة شديدة فى

النوم ، ولذا حل علينا الظلام قبل أن نصل الى الغابة . وعند حافة الغابة توقفت « وينا » خوفا من الظلام المنتشر أمامنا ، وانتابني شعور بالخطر بدلا من أن يدفعني الى التروى دفعني الى الأمام ، وكنت قد ظللت بدون نوم يومين وليلة وصرت اشعر أن النوم يهاجمني .. ومعه « المورلوك » يهاجمون ايضا .

وبينما كنا ننتظر على حافة الغابة رأيت ثلاثة اشكال معتمة بين الأعشاب وراءنا ، كانت هذه الأعشاب طويلة تحيط بنا من كل جانب ولم اشعر بالاطمئنان لظهورهم المفاجيء . كانت الغابة على بعد أقل من ميل أمامنا ، واذا استطعنا أن نقطعها ووصلنا الى حافة التل القاحلة لوصلنا ، كما تصورت ، الى مكان اكثر امنا نحصل فيه على شيء من الراحة . وفكرت انني أستطيع بمعاونة أعواد الثقاب و « الكمفور » أن أشق طريقي في الغابة ، ومع ذلك كان من الواضح انه يتعين على اذا أردت أن استخدم الثقاب بيدى الاثنين أن القي بالحطب الذى جمعته لاشعال النار ،

وهذا ما فعلتـــه مترددا ، ثم فكرت فى أن فى امكانى أن أذهل أصدقاءنا من ورائى باشعال النار فى الحطب وقد اكتشفت فيما بعد حماقة هـذا العمـل الذى تصورت انه خطوة ذكية لتغطية انسحابنا .

* * *

كم تبدو النار نادرة وغريبة فى غياب الانسان .. وفى مثل هذه البـلاد الباردة ، ان اشـعة الشـمس لا يمكن أن تصل من القوة الى درجة اشعال النار ، والبرق قد يسود الأشياء ولكنـه لا يمكن ان يطلق اللهب ، والحشائش الجافة يمكن احيانا أن ترتفـع سخونتها ولكنها نادرا ما تشتعل ، وفى هـذا العـالم الذى يعيش فيه النـاس الصغار فن اشعال النـار قد نسى تماما ، ولذا عندما أشعلت النـار فى كومة الحطب التى كنت أحملها وارتفعت منها الألسـنة الحمراء بدا الأمر غريبـا وجـديدا تماما بالنسـبة « لوينـا » .

كانت تريد أن تجرى الى النار وتلعب معها ،

واعتقد اننى لو لم أمسك بها لألقت بنفسها فى النار ولكنى أمسكت بها واقتحمت الغابة وانا احملها وهى تقاوم بشدة ، كان ضوء النار التى اشعلتها ينير لى الطريق الى مسافة ما ، وعندما نظرت الى الخلف وجدت ان النار انتشرت فى بعض الحشائش الجافة المجاورة وبدأت تمتد صوب التل ، فضحكت لذلك وحولت وجهتى مرة اخرى صوب الأشجار المعتمة أمامى ، كان الظلام شديدا و « وينا » تتعلق برقبتى بشدة ، ولكن عينى تعودتا على الظلام واستطعت ان اتبين طريقى الى حد ما .

كان الظلام الدامس يكتنفنا من كل اتجاه فيما عدا ثغرة من السماء الزرقاء البعيدة تلتمع فوق راسينا هنا وهناك ولم أستطع ان اشعل شيئا من أعواد الكبريت لأن يدى كانتا مشغولتين ، على الذراع الأيسر احمل « وينا » الصغيرة وبيدى اليمنى امسك القضيب الحديدى .

قطعت مسافة ما فى الغابة دون أن اسمع شيئا سوى تهشم الحشائش الجافة تحت قدمى ، وهمسات

الريح الخافتة من فوقى ، وصـوت انفاسى وخفقات قلبى فى شرايين اذنى ، ثم لم البث ان تبينت ما يشبه الهمهمة حولى ، فمضيت فى طريقى مسرعـا ، ولكن الهمهمة ازدادت وضوحا وتبينت فيها نفس الأصوات التى سمعتها فى عالم ما تحت الأرض .. ورايت عددا من « المورلوك » يقتربون منى ، وفى الدقيقة التالية احسست بمن يشـد معطفى ، ثم بمن يجـذبنى من ذراعى . أما « وينا » فكانت ترتجف وتحولت الى ما يشبه الكتلة الهامدة .

***

كان « المورلوك » يقتربون ويحيطون بى من كل جانب ، لقد حان الوقت لاشعال عود من الثقاب ولكن كى أفعل ذلك على أن اضـع « وينـا » أرضـا ، وهو ما فعلته ، وبينما كنت أضع يدى فى جيبى بحثـا عن علبة الكبريت شعرت بأيدى « المورلوك » الناعمـة الصغيرة تتحسس معطفى وظهرى وتلمس عنقى .. حككت عود الثقاب ، فاندلعت الشعلة ورفعتها عاليا ،

. .

فرأيت ظهور « المورلوك » البيضاء وهى تفر بين الأشجار فأخرجت بسرعة قبضة من « الكمفور » من جيبى لأشعلها حين يوشك لهب الثقاب على الانطفاء ، ثم نظرت الى « وينا » ، كانت ترقد بلا حراك على الأرض .. اندفعت ناحيتها ، بدت كأن أنفاسها تكاد تتوقف ، وأشعلت كتلة « الكمفور » والقيت بها على الأرض فانكسرت وانبعث منها ضوء وهاج طرد « المورلوك » بعيدا هم وخيالهم ، وعندئذ انحنيت والتقطت « وينا » .

كانت الغابة من ورائى مليئة بالحركة والهمهمات مما يدل على وجود عدد كبير جدا من « المورلوك » !

يبدو أن « وينا » كانت قد أغمى عليها ، حملتها برفق على كتفى وبدات أمضى فى طريقى ، وعندئذ تحققت من أمر مرعب ، يبدو اننى فى انشغالى بالكبريت و « الكمفور » درت حول نفسى عدة مرات ، ولم تعد لدى الآن فكرة عن اتجاهى ، لقد فقدت الطريق ! ربما كنت أتجه مرة أخرى الى القصر الأخضر ،

شعرت بالخوف يتملكنى ، وكان على أن اقرر بسرعة ماذا افعل ، فقررت أن اشعل نارا واعسكر فى هذا المكان حتى الصباح ، فوضعت « وينا » على الأرض وهى لاتزال بلا حراك ، ومضيت أجمع الحشائش والفروع الجافة وكنت أرى عيون « المورلوك » تلتمع من حولى فى الظلام كالجواهر .

ظل « الكمفور » مشتعلا بعض الوقت ثم انطفأ فأشعلت عودا من الثقاب ، وبينما كنت افعل ذلك رايت اثنين من « المورلوك » كانا يقتربان من « وينا » يوليان الفرار ، واحدهما أعماه الضوء فاندفع نحوى وشعرت بعظامه تتحطم تحت قبضة يدى فندت عنه صيحة ألم ، واندفع الى الخلف قليلا ، ثم سقط على الأرض بلا حراك .

* * *

اشعلت قطعة اخرى من « الكمفور » ومضيت أجمع الحشائش والحطب ، وسرعان ما لاحظت أن أوراق الأشجار فوق راسى جافة تماما اذ لم تكن

الأمطار قد هطلت منذ وصـولى بآلة الزمن من حوالى اسبوع ، ولذا توقفت عن البحث من حولى عن الفروع السـاقطة وبدأت أقفز الى اعلا واجذب فروع الأشجار، وسرعان ما تمكنت من اشعال نار ذات دخان فى هـذه الفروع الجافة ووفرت بذلك استخدام « الكمفور » .

ثم التفت الى « وينـا » حيث ترقد الى جانب القضيب الحديدى ، وبذلت ما فى وسعى لمســاعدتها ، ولكنها كانت ملقاة كالجثــة الهامدة ، ولم يكن حتى فى مقدورى أن اتبين ما اذا كانت تتنفس أم قطعت النفس نهائيـــا .

اخذ الدخان المنبعث من النار يهب فى اتجـاهى ويصيبنى برغبة شديدة فى النوم ، كمـا ان رائحـة « الكمفور » كانت تملأ الجو ، والنـار التى اشعلتها يمكن أن تستمر مشتعلة مدة ساعة دون حاجة لمزيد من الحطب ، كما كنت اشــعر بالتعب الشـديد بعد جهودى المضنية خـلال الفترة المـاضية ، فجلست أنصت لهمسات الغابة التى بدات لى أشــبه بوشوشة تدعونى للنوم .

.

أخذتنى بالفعل سنة من النوم ثم فتحت عينى ، كان الظلام يخيم على المكان وشعرت « بالمورلوك » من حولى يتحسسوننى بأيديهم الطرية ، فدفعت عنى اصابعهم الباردة ورحت أبحث فى جيوبى عن صندوق الكبريت ، فاذا به قد اختفى ! ثم اطبقوا على وامسكوا بى مرة أخرى ، وفى لحظة واحدة تبينت ما حدث .. لقد نمت وانطفأت النار التى اشعلتها وسرقوا منى صندوق الكبريت !

أحسست فى حلقى بمرارة الموت ، وكانت الغابة ملأى برائحة الحطب المحترق ، وامسكوا بى هؤلاء « المورلوك » من الرقبة والشعر والذراعين ، وطرحونى ارضا ، كان شيئا مرعبا للغاية أن تشعر بتلك المخلوقات الناعمة متكومة فوقك ، احسست كما لو كنت فى بيت عنكبوت ملقى بلا حراك واسنانهم الصغيرة تقرض فى عنقى ، أخذت اتدحرج على الأرض وبينما كنت افعل ذلك عثرت يدى على القضيب الحديدى ، فأعطانى نفحة من القوة وقاومت كى اقف وانا انثر هذه

الفئران البشرية بعيدا عنى ، وامسكت بالقضيب الحديدى ورحت أضرب به وجوههم ، وكان فى استطاعتى أن أحس بلحمهم وعظامهم تنسحق تحت ضرباتى ، وهكذا استطعت أن أتحرر من قبضتهم !

* * *

امتلكنى نوع من الفرح الغريب الذى يبدو انه يصاحب دائما الانتصار فى قتال شاق ، كنت اعلم اننى و « وينا » قد ضعنا ، ولكنى صممت أن أجعل « المورلوك » يدفعون ثمنا باهظا لوجبتهم من لحمنا .

وقفت جاعلا ظهرى الى جذع شجرة وأخذت أطوح بالقضيب الحديدى فى نصف دائرة امامى ، سمعت صيحاتهم تملأ كل الغابة ، ومرت دقيقة ، وأخذت صيحاتهم تزداد ارتفاعا ، وحركاتهم تزداد سرعة ، ولكن احدا منهم لم يقترب من تناولى ، وقفت أحدق فى الظلام ، وفجأة جاءنى أمل فى أن يكون « المورلوك » خائفين منى حقا .

عندئذ حدث شيء غريب ، وجدت الظلام قد

بدا ينقشع ورايت أشباح « المورلوك » من حولى — وثلاثة منهم طرحى تحت قدمى — والآخرين يفرون فى مجرى لا ينقطع قادمين من ورائى ومقتحمين الغابة امامى ، ولم تعد ظهورهم تبدو بيضاء وانما اخذت اللون الوردى ، وبينما انا واقف أحدق رأيت شرارة حمراء صغيرة تنطلق بين الأغصان وتختفى ، وعندئذ فهمت سبب رائحة الحريق ، والهمهمات الآتية من الخلف ، والوهج الأحمر ، وفرار « المورلوك » .

تقدمت خطوة من وراء شجرتى ونظرت الى الخلف فرأيت من خلال الجذوع السوداء للأشجار القريبة السنة هائلة من اللهب تتصاعد من أشجار الغابة المحترقة ، انه حريقى الأول الذى أشعلته يطاردنى الآن .

وبحثت عن « وينا » فلم أجدها ، كانت قد اختفت !

كانت أصوات الفروع وهى تتكسر والانفجارات

المكتومة لكل شجرة جديدة يحتويها اللهب ، لا تترك لى وقتا للتفكير ، فاندفعت اجرى فى طريق « المورلوك » وقطعة الحديد فى يدى ، وكان سباقا لعينا بينى وبين النيران ، وحدث أن زحفت النيران بسرعة عن يمينى فانحرفت فى جهة اليسار ، واخيرا وصلت الى ساحة صغيرة مفتوحة . وبينما كنت افعل ذلك رايت « المورلوك » يندفعون فى اتجاهى ، ويتجاوزوننى ، ويتساقطون فى النار واحدا بعد الآخر !

* * *

ظللت طيلة معظم تلك الليلة أمنى نفسى بأن الأمر لا يعدو أن يكون حلما مزعجا ، ورحت أعض نفسى وأصرخ لعلنى استيقظ من النوم ، وضربت الأرض بيدى ، ووقفت ، وجلست ، وتجولت هنا وهناك ثم جلست مرة أخرى ، ثم أخذت أفرك عينى واتوسل الى الله أن يجعلنى أستيقظ ، وشاهدت ما لا يقل عن ثلاثة من « المورك » يحنون رؤوسهم فى يأس مجنون ويندفعون الى اللهيب ، ولكن أخيرا ، فوق حمرة النار الخابية ، وفوق كتل الدخان

الأسود واعداد « المورلوك » المتناقصة رأيت ضوء الفجر ينبلج فى السماء .

رحت أبحث مرة اخرى عن اى اثر « لوينا » .. ولكنى لم اعثر لها عن اثر ، من الواضح انهم تركوا جسدها الصغير المسكين فى الغابة ، وشعرت بارتياح لنجاتها من المصير المخيف الذى كان ينتظرها وعندما فكرت فى ذلك انتابتنى رغبة فى أن أقتل اى « مورلوك » مسكين أجده فى طريقى ، ولكنى سيطرت على نفسى .

كان التل بمثابة جزيرة انقاذ فى تلك الغابة ، فعندما اعتليت قمته استطعت ان ارى القصر الأخضر بين سحب الدخان واستطعت بذلك ان أحدد طريقى نحو ابى الهول الأبيض ، فربطت بعض الحشائش حول قدمى واندفعت فوق الرماد الذى ينبعث منه الدخان وبين جذوع الأشجار المسودة فى اتجاه المكان الذى تختبىء فيه آلة الزمن ، كنت امشى فى بطء لأن قوتى انهارت وقدمى تؤلمانى بشدة ، وشعرت بالبؤس الشديد للميتة الشنيعة التى لقيتها « وينا » الصغيرة .

والآن ، فى هذه الغرفة المألوفة العتيقة ، اشعر كأن الأمر كان حلما يدعو للأسى أكثر من كونه خسارة حقيقية ، ولكنى فى ذلك الصباح كنت اشعر بالوحدة المطلقة القاتلة ، ورحت أفكر فى منزلى ، وفى مدفأتى ، وفى بعض اصدقائى ، وكدت أبكى شوقا فى العودة الى منزلى مرة أخرى .

ولكن ، بينما كنت أمشى فوق الحشائش المحترقة تحت السماء التى بدأت تستنير بضوء الفجر اكتشفت انه لا تزال فى جيبى بضعة أعواد من الكبريت السائبة ، لابد انها سقطت من العلبة قبل أن تضيع .

(١٣) العثور على آلة الزمن

كانت الساعة قد بلغت الثامنة أو التاسعة صباحا عندما عدت الى نفس المكان الذى طالعت فيه هذا العالم فى تلك الأمسية التى وصلت فيها ، وضحكت بمرارة على ما شعرت به عندئذ من الثقة الزائفة ، ها أنا ارى الآن نفس المنظر الجميل .. نفس الأشجار ، نفس القصور الرائعة والأطلال العظيمة نفس النهر الفضى يجرى بين الضفتين الخضراوين ، وكان الناس الصغار فى ملابسهم البهيجة يجيئون ويروحون بين الأشجار .. وكان بعضهم يستحم فى

نفس المكان الذى انقذت منه « وينـا » من الغرق ، وشعرت فجـاة بطعنة من الألم لتلك الذكرى .

ورايت كذلك نفس القباب القبيحة التى تغطى الآبار المؤدية الى العـالم السفلى ، لقد عرفت الآن ما الذى يخفيه جمال هـذا العالم العلوى ، ان الناس العلويين يقضـون يومهم فى مسرة وسعادة مثل الماشـية فى الحقول ، وكالمـاشية ايضـا لا يعرفون شـيئا عن اعدائهم ولا يقلقون بسبب الحاجة ، حتى يواجهوا مصيرهم المحتوم .

احزننى ان افكر فى مدى قصر الحـلم بالذكاء البشرى ، لقد كان هدفه تحقيق الراحة والسهولة ، والوصول الى مجتمع كل هدفه السهولة والأمن ، وامكن تحقيق ذلك فى النهاية ! .. فى وقت ما وصلت الحيـاة والثروة الى الأمان التـام ، الغنى واثق من ثروته وراحته ، والفقير واثق من حياته وعمله ، لاشك انه فى مثل هـذا العالم المطمئن لم تكن هنـاك

مشكلة بطالة ، ولا أى مشكلة اجتماعية اخرى ، وادى ذلك الى مرحلة من الهدوء العظيم .

ولكن ذلك ادى الى انتهـاك قانون هـام من قوانين الطبيعة ، ان التغير والخطر والمعاناة تبدو لنا شرورا يجب تجنبها ، ولكن التغير والخطر والمعانـاة هى الأشياء التى تحـافظ على الذكاء البشرى حيـا وماضيا .. ان الحيوان الذى يناسب بيئتـه تماما ويحيا فى توافق تام معها هو مجرد آلة جيدة ، ليست به حاجة الى التفكير ، فالفكر والذكاء تمس الحاجـة اليهما عندما تضطرب الأمور ، أى عندما يكون هنـاك تغير وخطر ومتاعب ، هـذا هو الوقت الذى تبدو فيه الحاجة الى الذكاء ، ولذا فالحيوانات الوحيدة التى تحتاج الى الذكاء هى التى تواجـه قـدرا كبيرا من الحاجات والتغيرات .

وهكذا أصبح انسان العالم العلوى ضعيفا وجميلا وانسان العالم السفلى مجرد عامل آلى .. ولكن ذلك لم يستمر طويلا ، ففى وقت ما انهار النظـام الغذائى

لسكان العالم السفلى ، ولم يعد فى امكانهم الحصول على اللحوم فاتجهوا الى اللحـم البشرى الذى كان محرما حتى ذلك الوقت بحكم العادة والقانون .

وهكذا بدت لى الأمور فى عام ٨٠٢ر٧٠١ .

***

هد المجهودات والتوتر والرعب فى الأيام الماضية وبالرغم من حزنى على فقد « وينـا » وجدت المكان سارا للغاية بسبب المنظر ودفء الشمس ، وكنت فى غاية التعب والاجهاد ، فألقيت نفسى على الحشـائش ورحت فى نوم طويل منعش .

استيقظت قبل غروب الشمس بقليل .. اننى أشعر الآن بأني فى مأمن من « المورلوك » ، فنهضـت وهبطت حافة التل فى اتجـاه أبى الهول الأبيض ، وكنت امسك بالقضيب الحديدى فى يد وأعبث باليد الأخرى فى أعواد الكبريت فى جيبى .

ولم ألبث أن وجدت ما لم أكن أتوقعــه اطلاقا ، فعندما اقتربت من قاعدة أبى الهول ، وجدت الأبواب البرونزية مفتوحة .

توقفت على مسافة قليلة منها ، وظللت لحظــة مترددا فى الدخول .

رأيت فى الداخل غرفــة صغيرة ، وعلى مكان مرتفع فى أحد أركانها تقبع آلة الزمن ، كانت مقابض التشــغيل فى جيبى ، وتصــورت اننى بعد تفــكيرى الدقيــق فى الهجوم المحتمل ها انذ أجــدهم قــد استسلموا فجأة فالقيت بالقضيب الحديدى بعيدا ، وليتنى لم أفعل !

لمعت فى راسى فكرة مفاجئة وانا انحنى لأدخــل الباب ، خيل الى اننى فهمت طريقة « المورلوك » فى التفكير واحســست برغبة فى الضحك ،. ولكنى لم أفعل، وخطوت داخل الباب البرونزى وصعدت الى مكان آلة الزمن ، دهشت اذ وجدتها مشحمة جيدا ومنظفة جدا،

وشككت فى ان يكون « المورلوك » قد حاولوا تفكيكها جزئيا ليعرفوا الغرض منها .

وقفت افحصها ، وانا سعيد بمجرد لمسها ، وفجأة حدث ما كنت اخشاه ، فقد انغلقت الأبواب البرونزية .وصرت محبوسا بالداخل فى الظلام ، هكذا دبر « المورلوك » مكيدتهم .

انني اسمع الآن همهماتهم وضحكاتهم وهم يقتربون منى ، حاولت بهدوء شديد أن أشعل عودا من الكبريت فقد كان ما على أن افعل ان اثبت المقابض فى الآلة واغادر المكان على الفور كالشبح ، ولكنى نسيت ان الكبريت من النوع الذى لا يشتعل الا اذا حككته فى الصندوق .

يمكنكم أن تتصوروا كيف زايلنى هدوئى على الفور ، فقد هاجمتنى المخلوقات الصغيرة ، واحسست بواحد منها يلمسنى ، فأخذت أطوح بقبضتى فى الظلام واعتليت بسرعة مقعد الآلة ، واذا بيد تمسك بى

وتلتها يد أخرى ، فأخذت أضربهم بالمقابض وابحث فى نفس الوقت عن الأماكن التى اثبتها فيها .. وكادوا هم يستخلصون أحد المقابض منى فقد جذبوه وسـقط من يدى فاندفعت فى الظـلام ابحث عنه ، كان عراكا اشبه بعراك الغابة .

واخيرا ثبت المقبض ، وادرت الآلة ، وجدت ايدى « المورلوك » تبتعد عنى ، وانقشع الظلام من عينى ، ووجدت نفسى فى نفس الضوء الرمادى الذى سبق أن وصفته .

ومرة اخرى اخذت لمحـات الضـوء والظـلام تتابع وانا اتراجع فى الزمن بسرعة آلاف الأيام فى الثانية الواحـدة .

(١٤) عودة ((مسافر الزمن))

هكذا عدت مرة اخرى الى هـذا الزمن ، ولمـدة طويلة ظللت ملقى بلا حراك فوق الآلة وانـا أراقب تتابع الليل والنهار ، وارى الشمس وقد عادت ذهبية ثانية ، واشـاهد السماء وقد عادت زرقاء ، واخذت اتنفس بحريـة اكبر ، ومؤشرات الآلة تتراجـع الى الخلف .

واخيرا شاهدت الظلال المعتمة للبيوت ، وإخذت مظاهر دمار البشرية تختفي تماما وتحل محلها مظاهر الصحة . واخيرا بعد ان استقر موشر الملايين على درجة الصفر ، قللت من سرعة الآلة .

وبدات اتعرف على مبانينا الصغيرة ، كما استقر مؤشر الآلاف عند نقطة البدء ، واخذ الليل والنهار يتعاقبان فى بطء واخيرا ظهرت حولى حوائط المعمل ، وضغطت على ذراع الايقاف .

حدث شيء صغير لفت انتباهى ، إذكر اننى اخبرتكم اننى عندما بدات تشغيل الآلة فى رحلة الذهاب وقبل أن تأخذ سرعتها اننى رايت السيدة « واتشيت » تجتاز الغرفة فى سرعة طلقة البندقية . وعند عودتى مررت ثانية بهذه الدقيقة التى اجتازت فيها المعمل ولكن حركتها هذه المرة كانت عكسية تماما بالنسبة للمرة السابقة ، فقد انفتح باب الخروج اولا وظهرت فيه السيدة « واتشيت » واخذت تتراجع بظهرها حتى اختفت وراء الباب الذى دخلت منه .

وعندئذ اوقفت الآلة ، ورايت حولى مرة اخرى نفس المعمل المألوف القديم وأدواتى مبعثرة فيه كما تركتها . . خرجت من الآلة فى شدة الارهاق وجلست على الكرسى الذى تعودت أن استريح عليه ، أخذت ارتجف بضع دقائق ، ثم هدأت .

ها هو معملى القديم حولى مرة أخرى كما تركته تماما ، ويبدو أن أخذتنى سنة من النوم وبدا لى أن ما حدث كله كان حلما .

ولكن ليس بالضبط تماما ، فان الآلة تحركت من الركن الجنوبى الشرقى للمعمل ، واستقرت الآن فى الركن الشمالى الشرقى ، وهذه المسافة تساوى تماما طول الحارة الصغيرة لدى قاعدة أبى الهول الأبيض التى جر « المورلوك » آلتى فيها !

***

ظللت زمنا عاجزا عن التفكير ، ثم قمت وسرت فى الممر قادما الى هنا وأنا أمشى متألما لأن قدمى لا تزالان تؤلمانى ، وجدت أن تاريخ اليوم لم يتغير عندما نظرت فى الصحيفة الموجودة على المائدة قرب الباب ، فنظرت الى ساعة الحائط فوجدت أنها قاربت على الثامنة ، وسمعت أصواتكم وقعقعة الصحون وقفت مكانى لحظة وأنا أشعر بالمرض والضعف ثم شممت رائحة لحم شهى ، وفتحت عليكم

الباب ، وانتم تعرفون الباقى ، اغتسلت وتناولت عشائى وها انــا احكى لكم حكايتى !

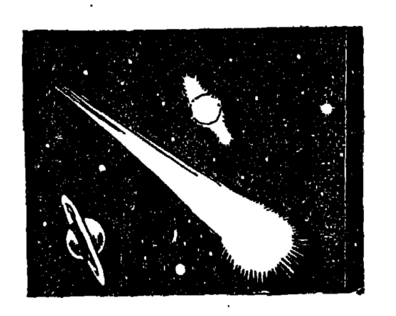
وواصل الكلام بعد فترة صمت :

اعرف ان كل ما حكيتــه لكم يبدو غير قابــل للتصديق بالمرة ، بالنسبة لى الشيء الوحيد غير القابل للتصـــديق اننى عدت مرة اخرى هــذا المساء اتطلع الى وجوهكم الصديقة واحكى لكم مغامرتى المثيرة .

ونظر الى الطبيب وقال :

ــ لا اتوقع منك أن تصـــدق ما قلت ، اعتبر ان الأمر كذبة ، قل اننى نمت فى المعمل وحلمت بذلك، قل اننى تصـــورت هــذه القصـــة الخيالية من فرط تفكيرى فى مستقبل البشرية ، اعتبر أن ما قلته مجرد خدعة لزيادة اهتمامكم ، اعتبرها مجرد قصـــة ، ماذا تقول فى ذلك ؟

وامســـك بغليونه وراح ينفضــه كالمعتاد على جدران المدفــأة ، وسادت فترة من الصمت ، ثم بدات



وتعاقب الليل والنهـار بمنتهى السرعة

الكراسى تتحرك ، رفعت عينى عن وجه « **مسافر الزمن** » ورحت أنظر الى الحاضرين .. كان الطبيب يحملق بثبات فى مضيفنا ، ورئيس التحرير زائغ النظرات يدخن سيجاره .. السادس ، والصحفى يتطلع الى ساعته !



قام رئيس التحرير واقفا ووضع يده على كتف « مسافر الزمن » وقال :

ـ خسارة انك لا تكتب القصص .

ـ الا تصدق ما قلت ؟

ـ حسنا ..

التفت « مسافر الزمن » نحونا وقال :

ـ أين الكبريت ؟

واشعل غليونه قائلا :

ـ أقول لكم الحقيقة .. انني نفسى لا اكاد اصدق ما حدث .. ومع ذلك ..

وسقطت نظراته على الأزهار البيضاء الذابلة فوق المائدة الصغيرة ، ثم لوى مقبض الغليون ، ورايت انه ينظر الى أثر بعض الجروح نصف المندملة فى فى اصابعه .

قام الطبيب واقترب من المصباح واخذ يفحص الأزهار وقـال :

ـ يا لها من ازهار غريبة ! ..

وانحنى عالم النفس الى الأمام لينظر هو الآخر ، وامسك واحدة منها ليتفحصها جيدا .

وقـال الصحفى :

ـ ان الساعة الآن الواحدة الا ربعا .. كيف سيمكننا ان نذهب الى بيوتنا ؟

قـال الطبيب :

ـ يا له من شيء غريب .. بالتأكيد لست أعرف نوع هذه الأزهـار .. لم أر من قبل شيئا يشبهها .. هل يمكنني أن آخذها ؟

صمت « مسافر الزمن » لحظة ثم صاح فجأة :

ـ كلا .. بكل تأكيد !

سـأله الطبيب :

ـ من أين جئت بها حقا ؟

وضـع « مسـافر الزمن » يده على رأسـه ، وتحدث كمن يحاول أن يحتفظ بفكرة توشـك أن تهرب منه **وقـال :**

ـ هـذه الأزهار وضعتها « وينـا » فى جيبى عندما سافرت فى الزمن !

وراح يتطلع حوله فى الحجرة **ويتمتم :**

ـ يا له من عبث ! اشـعر كأن هـذه الحجرة وانتم جميعا وكل شئون الحياة اليومية اكبر مما تسعه ذاكرتى ، هل صنعت حقا آلة زمن ام مجرد نموذج لآلة الزمن ؟ ام هل كان الأمر حلمـا كله ؟ النـاس تقول ان الحياة حلم .. حلم مزعج فى بعض الأحيان ، من أين تأتى الأحلام ؟ ينبغى أن القى نظرة على آلـة الزمن .. هـذا اذا كانت هناك حقا آلة زمن !



وحمل المصباح وخرج من الباب الى الممر ونحن نتبعه ، وفى ضوء المصباح شاهدنا الآلة حقيقية تماما ، ومددت يدى أتحسسها ، وجدت انها صلبة وعليها بقايا حشائش وطين فى اجزائهـا السفلى واحد قضبانها ملتـو .

وضع « مسافر الزمن » المصـباح على المـائدة وامسك بالقضيب الملتوى فى الآلة **وقـال :**

ـ الأمرواضـح تماما الآن ، ان القصـة التى حكيتها لكم حقيقية ، آسف اننى احضرتكم هنا فى البرد !

وامسـك بالمصباح وعدنا صـامتين الى غرفـة التدخـين .

جاء معنا الى القاعة وساعد رئيس التحرير على ارتداء معطفه ، ونظر الطبيب فى وجهه بشىء من الشك وقال له انه يعانى من مظاهر الاجهاد فضحك « مسافر الزمن » ، وأتذكر كيف وقف يودعنـا عند البـاب ويتمنى لنا ليلة سعيدة .

استأجرت عربة مع رئيس التحرير ، كان يعتقد ان الحكاية « كذبة رائعة » ، ولم أستطع أن اصل الى نفس القرار ، فقد كانت القصة حقا غريبة ولا يمكن تصديقها ، ولكنه حكاها بطريقة هادئة ومعقولة تماما .. !

***

قضيت معظم الليلة متيقظا افكر في هذه القصة الغريبة ، وقررت ان اذهب فى اليوم التالي لأرى « مسافر الزمن » مرة أخرى .

ابلغنى الخادم انه فى المعمل ، ولكونى من اصدقائه الحميمين ذهبت مباشرة الى المعمل ولكنى لم أجد « مسافر الزمن » هناك فأخذت اتفحص آلة الزمن ثم مسست مقبضها فاذا بهذه الكتلة الثقيلة تهتز كالريشة فى مهب الريح .

عدت من الممر ، والتقيت « بمسافر الزمن » فى غرفة التدخين ، كان قد أتى من المنزل ، وتحت ابطه كاميرا صغيرة وحقيبة ، ضحك عندما رآنى **وقال :**

ـ يؤسفنى اننى مشغول جدا بذلك الشيء الذى هنـاك !

قـالت :

ـ لكن هل فى الأمر خدعة ما ؟ هل إنت تسافر حقا عبر الزمن ؟

قال وهو ينظر فى عينى :

ـ حقا ، وصدقا ، ما قلته لكم .

ثم جال بعينيه فى الحجرة **وقـال :**

ـ يلزمنى نصف سـاعة فقط ، اعـرف انك جئت ، وحسنا فعلت ، توجد هنا بعض الصحف يمكنك أن تتسلى بقراءتها حتى تحين ساعة الغداء ، وسوف اثبت لك ان السفر فى الزمن حقيقة ، هـل تسمح لى أن اتركك الآن ؟

وافقت وأنا لا أكاد أفهم بالتحديد معنى كلماته ، وذهب هو الى الممر ، وسـمعت باب المعمـل يغـلق

فجلست على « الفوتيل » وتناولت صحيفة يوميــة ، ترى ما الذى سيفعله قبل وقت الفداء ؟ ثم تذكرت فجأة وانــا اتطلع الى اعلان فى الصخيفة أن عندى موعدا مع « ريتشاردسون » الناشر ، فى الســاعة الثانية ظهرا ، ونظرت الى ساعتى ، رأيت أن الوقت يكاد يكون كافيــا لأذهب اليه ، فقمت من مقعــدى وسرت فى الممر لأبلغ « **مسافر الزمن** » أن على أن أرحل على الفور .

* * *

عندما امسكت بمقبض باب المعمل سمعت صيحة مكتومة وصوت ارتطــام ، وهب فى وجهى هواء بارد عندما فتحت الباب ، وسمعت صــوت زجاج ينكسر ويسقط على الأرض ، لم أجد « **مسافر الزمن** » فى المعمل وبدا لى كأنى أشاهد شكلا كالشبح يجلس فى كتلة مهتزة من النحاس والسواد لمدة دقيقة كان المنظر شفافا بحيث كان فى مقدورى أن أرى من خــلاله المــائدة وعليها صفحات الرسوم بوضــوح تام ولكن

هذا الشبح لم يلبث ان اختفى وانا ادعك عينى ، ورأيت آلة الزمن قد اختفت فيما عدا سحابة من الغبار خلفتها وراءها ، كان المعمل خاليا واحدى نوافذه مكسورة .

شعرت بدهشة غريبة ، اعرف أن شيئا غريبا قد حدث ، وظللت لمدة دقيقة لا اعرف ماذا يكون ذلك الشيء ، وبينما انا واقف هناك رايت الباب المؤدى الى الحديقة ينفتح ويظهر الخادم .

نظرنا الى بعضنا البعض وسألت **الخادم :**

ـ هل خرج السيد .. من هذا الباب ؟

ـ كلا يا سيدى ، لم يخرج أحد من هذا الباب لقد توقعت أن أجده هنا !

فهمت ما حدث ، وبالرغم من خوفى أن أخيب رجاء ناشرى قررت البقاء فى انتظار **((مسافر الزمن))** ربما يعود بقصة اكثر غرابة تدعمها الصور

الفوتوجرافية ولكنى أخشى الآن ان يكون على ان انتظر مدى الحيـــاة ، فكما يعرف الجميـــع الآن ، لم يعد « **مسافر الزمن** » بعد ذلك مطلقا .

اننى لا اتوقف عن التساؤل :

ــ ترى هل يعود فى يوم من الأيام ؟

* * *

ربما يكون قد سافر الى المــاضى ، ووقــع فى ايدى رجال العصر الحجرى المتوحشين ذوى الشعور الطويلة شاربى الدماء ، أو ربما يكون قد سقط فريسة للزواحف الضخمة فى المــاضى البعيد ، أم تراه قــد ذهب الى المستقبل فى بعض العصــور القريبــة حيث الرجال لا يزالون نفس الرجال .. ولكن الأســئلة التى تحيرنا فى عصرنا قد حلت ، هل ذهب الى عصر رشد الجنس البشرى ؟

اقول « **رشد الجنس البشرى** » لأننى لا اتصور ان هذه الأيام التى نعيشها بما فيها من تجــارب بدائية

ومعرفــة غير كاملة ومناقشـــات حادة هى فعلا أعلى نقطــة فى تاريخ الانســـان ، اننى أعرف أن أمله كان ضعيفا فى تقدم البشرية ، كان يرى فى حضـــارتنا هذه مجرد بناء متهالك لن يلبث فى النهاية ان يسقط فوق رؤوس صانعيه ، ويدمرهم .

اذا كان الأمر كذلك حقا ، فان علينـــا أن نعيش كما لو لم يكن كذلك ، وبالنسبة لى فانى أرى المستقبل لايزال مظلما ومجهولا ، انه مساحة من المجهول المطلق ليس بها كثير من الضـــوء .. ولكن لدى الآن ـ لراحتى الكبيرة ـ زهرتين بيضاوين جافتين تشهدان بأنه حتى اذا ذهب العقل والقوة فان الامتنان والحب الرقيق بين الانسـان والانسان ، سيبقيان فى قلب الانسـان .. !

الفهـــرس

رقم الإيداع بدار الكتب : ٧٧٦٣ / ٩٧
I.S.B.N 977-01-5261-7

■ هـ. ج. ويلز

يعتبر هربرت چورچ ويلز، من أوائل الكتاب الإنجليز الذين كتبوا روايات أدبية من «الخيال العلمي».. ومن أشهر رواياته العلمية: «آلة الزمن» التى كتبها عام ١٨٩٥.. و«الرجل الخفي» التى كتبها عام ١٨٩٧.. و«حرب الكواكب» التى كتبها عام ١٨٩٨.

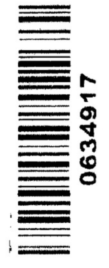
وقد ولد فى ٢١ سبتمبر ١٨٦٦، ومات فى لندن فى ١٣ أغسطس ١٩٤٦.

مكتبة الأسرة



بسعر رمزى جنيه واحد
بمناسبة
مهرجان القراءة للجميع ١٩٩٧

912
31



الطبعة

مطابع
الهيئة المصرية العامة للكتاب